

تقول أنت في ابتداء أهل الذمة بالسلام؟ فقال: ما أرى بأساً أن يتقدمهم: قلت لم؟ قال: لقوله تعالى: (فاصفح عنهم وقل سلام) وبما ذكرنا يلم ضعفه، وقال السدي: المعنى قل خيراً بدلاً من شرهم، وقال مقاتل: اردد عليهم معروفاً، وحكى الماوردي أى قل ماتسلم به من شرهم والكل كما ترى والحق ما قدمنا ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ٨٩﴾ حالهم السيئة وإن تأخر ذلك وهو وعيد من الله سبحانه لهم وتسلية لرسوله ﷺ، وقرأ أبو جعفر: والحسن: والاعرج: ونافع: وهشام (تعلمون) بناء الخطاب على أنه داخل في حيز (قل) وإن أريد من الآية الكف عن القتال فهي منسوخة وإن أريد الكف عن مقابلتهم بالكلام فليست بمنسوخة والله تعالى أعلم *

﴿سورة الدخان ٤٤﴾

مكية كما روى عن ابن عباس. وابن الزبير رضى الله تعالى عنهم واستثنى بعض قوله تعالى: (إننا نكشفو العذاب قليلاً انكم عائدون) وآيها كما قال الداني تسع وخمسون في الكوفي وسبع في البصري وست في عدد الباقيين * واختلافها على مائتي مجمع البيان أربع آيات (حم وإن هؤلاء يقولون) كوفي (شجرة الزقوم) عراقي شامي والمدني الأول في (البطون) عراقي مكي والمدني الأخير: ووجه مناسبتها لما قبلها أنه عز وجل ختم ما قبل بالوعيد والتهديد وافتتح هذه بشيء من الانذار الشديد وذكر سبحانه هناك قول الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم: (يا رب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون) وهنا نظيره فيما حكي عن أخيه موسى عليهما الصلاة والسلام بقوله تعالى (فدع ربه أن هؤلاء قوم مجرمون) وأيضاً ذكر فيما تقدم (فاصفح عنهم وقل سلام) وحكى سبحانه عن موسى عليه السلام (إني عدت بربي وربكم أن ترجون وإن لم تؤمنوا لي فاعزلون) وهو قريب من قريب إلى غير ذلك، وهي إحدى النظائر التي كان يصلي بها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما أخرج الطبراني عن ابن مسعود الفاريات والطور والنجم واقتربت والرحمن والواقعة ونون والحاقة والمزل ولا أقسم بيوم القيامة وهل أتى على الإنسان والمرسلات وعم يتساءلون والنازعات وعبس وويل للمطففين وإذا الشمس كورت والدخان، وورد بفضائها أخبار * أخرج الترمذي ومحمد بن نصر. وابن مردويه، والبيهقي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «من قرأ حم الدخان في ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك» وأخرج المذكورون عنه أيضاً يرفعه من قرأ حم الدخان في ليلة الجمعة أصبح مغفوراً له « وفي رواية للبيهقي: وابن الضريس عنه مرفوعاً «من قرأ ليلة الجمعة حم الدخان ويس أصبح مغفوراً له » وأخرج ابن الضريس عن الحسن أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال «من قرأ سورة الدخان في ليلة غفر له ما تقدم من ذنبه» وأخرج ابن مردويه عن أبي أمامة قال قال رسول الله ﷺ «ومن قرأ حم الدخان في ليلة الجمعة أو يوم الجمعة بنى الله تعالى له بيتاً في الجنة » *

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ١ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ٢﴾ الكلام فيه كالذي سلف في السورة السابقة *

﴿أَنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ أى الكتاب المبين الذى هو القرآن على القول المعمول عليه ﴿فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾ هى ليلة

القدر على ما روى عن ابن عباس . وقتادة . وابن جبير . ومجاهد . وابن زيد . والحسن . وعليه أكثر المفسرين والظواهر معهم ، وقال عكرمة . وجماعة : هى ليلة النصف من شعبان . وتسمى ليلة الرحمة واليلة المباركة وليلة الصك وليلة البراءة ، ووجه تسميتها بالآخرين أن البندار إذا استوفى الخراج من أهله كتب لهم البراءة

والصك كذلك أن الله عز وجل يكتب لعباده المؤمنين البراءة والصك في هذه الليلة . وظاهر كلامهم هنا أن البراءة وهي مصدر برى براءة إذا تخلص تطلق على صك الأعمال والديون وما ضاهاها وأنه ورد في الآثار ذلك وهو مجاز مشهور وصار بذلك كالشترك وفي المغرب برى من الدين والعيب براءة ، ومنه البراءة لخط الإبراء والجمع براءات وبروات عامة اهـ *

وأكثر أهل اللغة على أنه لم يسمع من العرب وأنه عامى صرف وإن كان من باب المجاز الواسع * قال ابن السيد في المقتضب البراءة في الأصل مصدر برى براءة ، وأما البراءة المستعملة في صناعة الكتاب فتسميتها بذلك إما على أنها من برى من دينه إذا أداه وبرئت من الأمر إذا تخلت منه فكان المطلوب منه أمر تبرأ إلى الطالب أو تنحى ، وقيل : أصله أن الجاني كان إذا جنى وعفا عنه الملك كتب له كتاب أمان عما خافه فكان يقال : كتب السلطان لفلان براءة ثم عم ذلك فيما كتب من أولى الأمر وأمثالهم اهـ *

وذكروا في فضل هذه الليلة أخبارا كثيرة ، منها ما أخرجه ابن ماجه . والبيهقي في شعب الإيمان عن علي كرم الله وجهه قال : « قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إذا كانت ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها فان الله تعالى ينزل فيها لغروب الشمس إلى السماء الدنيا فيقول : ألا مستغفر فأغفر له ألا مستترق فأرزقه ألا مبتلى فأعافيه ألا كذا ألا كذا حتى يطلع الفجر » وما أخرجه الترمذى . وابن أبي شبة . والبيهقي . وابن ماجه . عن عائشة قالت : « فقدت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذات ليلة فخرجت أطلبه فاذا هو بالقيع رافع رأسه إلى السماء فقال يا عائشة : أكنت تخافين أن يحيف الله تعالى عليك ورسوله ؟ قلت : ما بى من ذلك ولكنى ظننت أنك أتيت بعض نساءك ، فقال : إن الله عز وجل ينزل ليلة النصف من شعبان إلى السماء الدنيا فيغفر لأكثر من عدد شعر غنم كلب » وما أخرجه أحمد بن حنبل في المسند عن عبد الله ابن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال : « يطلع الله تعالى إلى خلقه ليلة النصف من شعبان فيغفر لعباده إلا اثنين مشاحن وقاتل نفس » وذكر بعضهم فيها صلاة مخصوصة وأنها تعدل عشرين حجة مبرورة وصيام عشرين سنة مقبولا ، وروى في ذلك حديثا طويلا عن علي كرم الله وجهه ، وقد أخرجه البيهقي ثم قال : يشبه أن يكون هذا الحديث موضوعا وهو منكر وفي روايته مجهولون وأطال الوعاظ الكلام في هذه الليلة وذكر فضائلها وخواصها ، وذكروا عدة أخبار في أن الآجال تنسخ فيها . وفي الدر المنثور طرف غير يسير من ذلك وسند ذكر بعضها منه إن شاء الله تعالى . وفي البحر قال الحافظ أبو بكر بن العربي : لا يصح فيها شيء ولا نسخ الآجال فيها ولا يخلو من مجازفة والله تعالى أعلم . والمراد بانزاله في تلك الليلة إنزاله فيها جملة إلى السماء الدنيا من اللوح فالانزال المنجم في ثلاث وعشرين سنة أو أقل كان من السماء الدنيا وروى هذا عن ابن جرير وغيره ، وذكر أن المحل الذي أنزل فيه من تلك السماء البيت المعمور وهو مسامت للكهبة بحيث لو نزل لنزل عليها *

وأخرج سعيد بن منصور عن إبراهيم النخعي أنه قال : نزل القرآن جملة على جبريل عليه السلام وكان جبريل عليه السلام يحى به بعد إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم * وقال غير واحد : المراد ابتداء إنزاله في تلك الليلة على التجوز في الطرف أو النسبة واستشكل ذلك بأن

ابتداء السنة المحرم أو شهر ربيع الأول لأنه ولد فيه صلى الله تعالى عليه وسلم ومنه اعتبر التاريخ في حياته عليه الصلاة والسلام إلى خلافة عمر رضى الله تعالى عنه وهو الأصح، وقد كان الوحي إليه صلى الله تعالى عليه وسلم على رأس الأربعين سنة من مدة عمره عليه الصلاة والسلام على المشهور من عدة أقوال فكيف يكون ابتداء الانزال في ليلة القدر من شهر رمضان أو في ليلة البراءة من شعبان *

وأجيب بأن ابتداء الوحي كان مناما في شهر ربيع الأول ولم يكن بانزال شيء من القرآن والوحي يقظة مع الانزال كان في يوم الاثنين لسبع عشرة خلت من شهر رمضان، وقيل لسبع منه، وقيل لأربع وعشرين ليلة منه، وأنت تعلم كثرة اختلاف الأقوال في هذا المقام فن يقول بابتداء انزاله في شهر يلتزم منها مالا ياباه واختلف في أول ما نزل منه، ففي صحيح مسلم أنه (يا أيها المدثر) وتعبه النوى في شرحه فقال: إنه ضعيف بل باطل والصواب أن أول ما نزل على الإطلاق (اقرأ باسم ربك) كما صرح به في حديث عائشة، وأما (يا أيها المدثر) فكان نزولها بعد فترة الوحي كما صرح به في رواية الزهري عن أبي سلمة، عن جابر *
وأما قول من قال من المفسرين أول ما نزل الفاتحة فبطلانه أظهر من أن يذكر اه والكلام في ذلك مستوفى في الاتقان فليرجع إليه من أراده *

ووصف الليلة بالبركة لما أن أنزل القرآن مستمتع للنافع الدينية والدنيوية بأجمعها أو لما فيها من تنزل الملائكة والرحمة وإجابة الدعوة وفضيلة العبادة أو لما فيها من ذلك وتقدير الأرزاق وفصل الأقضية كالأجال وغيرها وإعطاء تمام الشفاعة له عليه الصلاة والسلام، وهذا بناء على أنها ليلة البراءة، فقد روى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم سأل ليلة الثالث عشر من شعبان في أمته فأعطى الثالث منها ثم سأل ليلة الرابع عشر فأعطى الثلاثين ثم سأل ليلة الخامس عشر فأعطى الجميع إلا من شرد على الله تعالى شراد البعير، وأياما كان فقد قيل: إن التعليل إنما يحتاج إليه بناء على القول بما اختاره العز بن عبد السلام من أن الامكنة والأزمنة كلها متساوية في حد ذاتها لا يفضل بعضها بعضا إلا بما يقع فيها من الأعمال ونحوها، وزاد بعضهم أو يحل لتدخل البقعة التي ضمنه صلى الله تعالى عليه وسلم فانها أفضل البقاع الأرضية والسموية حتى قيل وبه أقول إنها أفضل من العرش *
والحق أنه لا يبعد أن يخص الله سبحانه بعضها بمزيد تشریف حتى يصير ذلك داعيا إلى إقدام المكلف على الأعمال فيها أو لحكمة أخرى، وجملة (إنا أنزلناه) جواب القسم، وفي ذلك مبالغة نحو ما في قوله: وثنايك أنها إغريض *
وقوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝﴾ استئناف يبين المقتضى للانزال، وقوله تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝﴾ استئناف أيضا لبيان التخصيص بالليلة المباركة في مكانه قيل: أنزلناه لأن من شأننا الانذار والتحذير من العقاب وكان انزاله في تلك الليلة المباركة لأنه من الأمور الدالة على الحكم البالغة وهي ليلة يفرق فيها كل أمر حكيم ففي الكلام لف ونشر، واشترط أن يكون كل منهما بمحتملين مستقلتين بما لا داعي إليه، وقيل: إن جملة (فيها يفرق) النخ صفة أخرى لليلة وما بينهما اعتراض لا يضر الفصل به بل لا يعد الفصل به فصلا، وقيل إن قوله تعالى (إنا كنا منذرين) هو جواب القسم وما بينهما اعتراض واليه ذهب ابن عطية زاعما أنه لا يجوز جعل (إنا أنزلناه) جوابا له لما فيه من القسم بالشئ على نفسه *

واعتراض بأن قوله تعالى: (فيها يفرق كل أمر حكيم) يكون حينئذ من تنمة الاعتراض فلا يحسن تأخره عن

المقسم عليه ولا يدفعه أن هذه الجملة مستأنفة لصفة أخرى لأنه استئناف بياني متعلق بما قبل كما سمعت آتفا فلا يليق الفصل أيضا كما لا يخفى على من له ذوق سليم، وما ذكر من حديث القسم بالشيء على نفسه فقد أشرنا إلى جوابه، وقيل أن قوله سبحانه: (أنا كنا منذرين) جواب آخر للقسم وفيه تعدد المقسم عليه من غير عطف ولم نرم من تعرض له، ومعنى يفرق يفصل ويخلص، والحكيم بمعنى المحكم لأنه لا يبدل ولا يغير بعد ابرازه للبلاغة عليهم السلام بخلافه قبله وهو في اللوح فإن الله تعالى يجوز منه ما يشاء ويثبت *

وجوز أن يكون بمعنى المحكوم به نسبته إلى الأمر عليها حقيقة، ويجوز أن يكون المعنى كل أمر ملتبس بالحكمة والأصل حكيم صاحبه فتجوز في النسبة، وقيل: إن حكيم للنسبة كتمامه ولابن وقد أبهم سبحانه هذا الأمر. وأخرج محمد بن نصر. وابن المنذر. وابن أبي حاتم عن ابن عباس أنه قال في ذلك: يكتب من أم الكتاب في ليلة القدر ما يكون في السنة من رزق أو موت أو حياة أو مطر حتى يكتب الحاج يحج فلان ويحج فلان. وأخرج عبد بن حميد. وابن جرير عن ربيعة بن كئوم قال: كنت عند الحسن فقال له رجل: يا أبا سعيد ليلة القدر في كل رمضان هي؟ قال: إي والله إنها لي في كل رمضان وإنها لليلة يفرق فيها كل أمر حكيم فيها يقضى الله تعالى كل أجل وعمل ورزق إلى مثلها، وروى هذا التعميم عن غير واحد من السلف.

وأخرج البيهقي عن أبي الجوزاء في يفرق كل أمر حكيم هي ليلة القدر يجاء بالديوان الأعظم السنة إلى السنة فيغفر الله تعالى شأنه لمن يشاء ألا ترى أنه عز وجل قال (رحمة من ربك) وفيه بحث، وإلى مثل ذلك التعميم ذهب بعض من قال: إن الليلة المباركة هي ليلة البراءة، أخرج ابن جرير. وابن المنذر. وابن أبي حاتم عن طريق محمد بن سوقة عن عكرمة أنه قال في الآية: في ليلة النصف من شعبان يبرم أمر السنة وينسخ الأحياء من الأموات ويكتب الحاج فلا يزداد فيهم ولا ينقص منهم أحد، وفي كثير من الأخبار الاقتصار على قطع الآجال، أخرج ابن جرير. والبيهقي في شعب الإيمان عن الزهري عن عثمان بن محمد بن المغيرة بن الأخفش قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: تقطع الآجال من شعبان إلى شعبان حتى أن الرجل لينكح ويولد له وقد خرج اسمه في الموتى، وأخرج الدينوري في المجالسة عن راشد بن سعد أن النبي ﷺ قال: «في ليلة النصف من شعبان يوحى الله تعالى إلى ملك الموت بقبض كل نفس يريد قبضها في تلك السنة» ونحوه كثير، وقيل: يبدأ في استنساخ كل أمر حكيم من اللوح المحفوظ في ليلة البراءة ويقع الفراغ في ليلة القدر فتدفع نسخة الأرزاق إلى ميكائيل عليه السلام ونسخة الحروب إلى جبرائيل عليه السلام وكذلك الزلازل والصواعق والحسف ونسخة الأعمال إلى إسماعيل عليه السلام صاحب سماء الدنيا وهو ملك عظيم ونسخة المصائب إلى ملك الموت. وروى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما تقضى الأقضية كلها ليلة النصف من شعبان وتسلم إلى أربابها ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان. واعترض بما ذكر على الاستدلال بالظواهر على أن الليلة المذكورة هي ليلة القدر لا ليلة النصف من شعبان ومن تدبر علم أنه لا يخدش الظواهر، نعم حكى عن عكرمة أن ليلة النصف من شعبان هي ليلة القدر ويلزمه تأويل ما يابى ظاهره ذلك فتدبر، وسيأتي إن شاء الله عز وجل الكلام في هذا المقام مستوفى على أتم وجه في تفسير سورة القدر وهو سبحانه الموفق *

وقرأ الحسن. والأعرج. والأعمش (يفرق) بفتح الياء وضم الراء (كل) بالنصب أى يفرق الله تعالى، وقرأ

زيد بن علي فيما ذكر الزمخشري عنه (نفرق) بالنون (كل) بالنصب وفيما ذكر أبو علي الأهوازي عنه بفتح الياء وكسر الراء ونصب (كل) ورفع (حكيم) على أنه الفاعل يفرق، وقرأ الحسن، وزائدة عن الأعشى (يفرق) بالتشديد وصيغة المفعول وهو لكثير وفيه رد على قول بعض اللغويين كالحريري أن الفرق مختص بالمعاني والتفريق بالأجسام * ﴿أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا﴾ نصب على الاختصاص وتنكيره للتفخيم، والجار والمجرور في موضع الصفة له وتعلقه بيفرق ليس بشيء، والمراد بالعندية أنه على وفق الحكمة والتدبير أي أعنى هذا الأمر أمر انجيما حاصلًا على مقتضى حكمتنا وتدبيرنا وهو بيان لزيادة فخامته ومدحه، وجوز كونه حالًا من ضمير أمر السابق المستتر في حكيم الواقع صفة له أو من (أمر) نفسه، وصح بحجى الحال منه مع أنه نكرة لتخصصه بالوصف على أن عموم النكرة المضاف إليها كل مسرغ للحالية من غير احتياج الوصف، وقول السمين: أن فيه القول بالحال من المضاف إليه في غير المواضع المذكورة في النحو صادر عن نظر ضعيف لأنه كالجزم في جواز الاستغناء عنه بأن يقال: يفرق أمر حكيم على إرادة عموم النكرة في الإثبات كما في قوله تعالى: (علمت نفس ما أحضرت) وقيل: حال من (كل) وأيا ما كان فهو مغاير لذي الحال لوصفه بقوله تعالى: (من عندنا) فيصح وقوعه حالًا من غير انوية فيه وكونها مؤكدة غير متأت مع الوصفية كما لا يخفى على ذى الذهن السليم، وهو على هذه الوجوه واحد الأمور وجوز أن يراد به الأمر الذي هو ضد النهي على أنه واحد الأوامر فيثبت يكون منصوبًا على المصدرية لفعل مضمر من لفظه أي أمرنا أمرًا من عندنا، والجملة بيان لقوله سبحانه: (يفرق) الخ، وقيل: إما أن يكون نصبا على المصدرية ليفرق لأن كتب الله تعالى الشيء لإيجابه وكذلك أمره عز وجل به كأنه قيل: يؤمر بكل شأن مطلوب على وجه الحكمة أمرًا فالأمر وضع موضع الفرقان المستعمل بمعنى الأمر، وإما أن يكون على الحالية من فاعل (أنزلنا) أو مفعوله أي إنا أنزلناه آمرين أمرًا أو حال كون الكتاب أمرًا يجب أن يفعل؛ وفي جعل الكتاب نفس الأمر لاشتماله عليه أيضا تجرؤ فيه فخامة، وتعقب ذلك في الكشف فقال: فيه ضعف للفصل بالجلتين بين الحال وصاحبها على الثاني ولعدم اختصاص الأوامر الصادرة منه تعالى بتلك الليلة على الأول. ووجه أن تخص بالقرآن ولا يجعل قوله تعالى: (فيها يفرق) علة للانزال في الليلة بل هو تفصيل لما أجمل في قوله سبحانه: (إنا أنزلناه في ليلة مباركة) على معنى فيها أنزل الكتاب المبين الذي هو المشتمل على كل ما أوربه حكيم كأنه جعل الكتاب كله أمرًا أو ما أوربه كل المأمورات وفيه مبالغة حسنة، ولا يخفى أن في فهمه من الآية تكلمًا * وقال الخفاجي في امر الفصل: إنه لا يضر ذلك الفاصل على الاعتراض وكذا على التعليل لأنه غير أجنبي. وجوز بعضهم على تقدير أن يراد بالأمر ضد النهي كونه مفعولًا له والعامل فيه (يفرق) أو أنزلنا أو منذر (ين) وقرأ زيد بن علي رضي الله تعالى عنهما (أمر) بالرفع وهي تنصر كون انتصابه في قراءة الجمهور على الاختصاص لأن الرفع عليه فيها، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ هـ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ تعليل ليفرق أو لقوله تعالى: (أمرًا من عندنا) ورحمة مفعول به المرسلين وتنوينها للتفخيم، والجار والمجرور في موضع الصفة لها، وإيقاع الإرسال عليها هنا كإيقاعه عليها في قوله سبحانه: (ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده) والمعنى على ما في الكشف يفصل في هذه الليلة كل أمر لأن من عادتنا أن نرسل رحمتنا وفصل كل أمر من قسمة الرزاق وغيرها من باب الرحمة أي أن المقصود الأصلي بالذات من ذلك الرحمة

أو تصدر الأوامر من عندنا لأن من عادتنا ذلك والأوامر الصادرة من جهته تعالى من باب الرحمة أيضا لأن الغاية لتكليف العباد تعريضهم للمنافع، وفيه كما قيل إشارة إلى أن جعله تعليلا لقوله سبحانه: أمر من عندنا إنما هو على تقدير أن يراد بالأمر مقابل النهي وهو يجري على تقديرى المصدرية والحالية.

وفي الكشف أن قوله: يفصل الخ أو تصدر الأوامر الخ تبين للمعنى التعليل على التفسيرين في (يفرق) لأنه أما بمعنى الفصل على الحقيقة من قسمة الارزاق وغيرها أو بمعنى يؤمر والشأن المطلوب يكون ما أمورا به لا محالة فخالصه يرجع الى قوله: أو تصدر الأوامر من عندنا لالوجهى التعليل من تعلقه بيفرق أو بأمر فان تعلقه بأمر إنما يصح اذا نصب على الاختصاص واذك ليس الأمر ما يقابل النهي لأن الأمر اذا كان المقابل فهو إما مصدر وإما يعمل فله وإما حال مؤكدة فيكون راجعا الى تعاليل الانزال المخصوص وليس المقصود وإنما لم يذكر المعنى على تقدير تعاقبه بأمر لأن المعنى الأول يصلح تفسيراً له أيضا انتهى *

والظاهر كون ذلك تبينا لوجهى التعليل، وما ذكر في فیه لا يخلو عن بحث كما يعرف بالتأمل، واعتبار العادة في بيان المعنى جاء من كنفائه يقال: كان يفعل كذا لما تكرر وقوعه وصار عادة كما صرحوا به في الكتب الحديثية وغيرها ولا فائدة ذلك عدل عن انما رسولون الاخصر وقوله سبحانه: (وذكر) وضع فيه الظاهر موضع الضمير والاصل منا فجيء بلفظ الرب مضافا الى ضميره صلى الله تعالى عليه وسلم على وجه تخصيص الخطاب به صلى الله تعالى عليه وسلم تشير يفاله عليه الصلاة والسلام ودلالة على أن كونه سبحانه ربك وأنت مبعوث رحمة للعالمين بما يقتضى أن يرسل الرحمة *

وقال الطائى: يخص الخطاب برسوله عليه الصلاة والسلام والمراد العموم، والاصل من ربكم وحيى بلفظ الرب ليؤذن بأن المربوبية تقتضى الرحمة على المربوبين وليكون تمهيدا يفتى عليه التعليل الآتى المتضمن للتعريض بواسطة الحصر بأن آلهتهم لا تسمع ولا تبصر ولا تغنى شيئا وتعقب بأنه لو أريد العموم لفانت النكتة المذكورة ولزم أن يدخل المؤمنون في قوله تعالى: (ان كنتم موقنين) وما بعده وليس المعنى عليه وفي القلب منه شيء وفسر بعضهم الرحمة المرسله بنينا صلى الله تعالى عليه وسلم ولا يخفى أن صحة التعليل تأبى ذلك.

وجوز أن يكون قوله تعالى (إنا كنا مرسلين) بدلا من قوله سبحانه: إنا كنا منذرين الواقع تعليلا لانزال الكتاب بدل كل أو اشتغال باعتبار الارسال والانذار، ويكون (رحمة) حينئذ مفعولا له أى أنزلنا القرآن لأن عادتنا الارسال الرسل والكتب الى العباد لاجل الرحمة عليهم واختيار كون الرحمة مفعولا له ليتطابق البديل والمبدل منه إذ معنى المبدل منه فاعلين الانذار ويطابقه فاعلين الارسال ولم يجوز كونها كذلك على وجه التعليل بل أوجب كونها مفعولا به ليصح إذ لو قيل: فيها تفصيل كل شأن حكيم لانا فاعلون الارسال لاجل الرحمة لم يفد ان الفصل رحمة ولا أنه سبحانه مرسل فلا يستقيم التعليل قبل وينصر نصب رحمة على المفعول قراءة الحسن وزيد بن على برفعها لأن الكلام عليه جملة مستأنفة أى هي (رحمة) تعليلا للارسال فيلائم القول بأنها في قراءة النص مفعول له وليطابق قراءتهم فى كون معنى (إنا كنا مرسلين) إنا كنا فاعلين الارسال، وقال بعض أجلة المحققين: أن القول بأنه تعليل أظهر من القول بأنه بدل ليكون الكلام على نسق في التعليل غب التعليل، ولما ذكر في الحالة المقتضية للابدال ولو وقع الفصل، وأشار على ما قيل بما ذكر في الحالة المقتضية للابدال بان المبدل منه غير مقصود وأنه في حكم السقوط وهما ليس كذلك، وتعقب هذا بأنه اغلبي لا مطرد، وقوله: لوقرع الفصل أى بين البديل والمبدل

منه بأن الفاصل غير اجنبي فلا يضر الفصل به فتدبر ، وجوز كون رحمة مصدراً لرحمتنا مقدر وكونها حالاً من ضمير (مرسلين) وكونها بدلاً من (امراً) فلا تغفل ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لكل مسموع فيسمع اقوال العباد ﴿الْعَلِيمُ﴾ لكل معلوم فيعلم احوالهم ، وتوسيط الضمير مع تعريف الطرفين لافادة الحصر ، والجملة تحقيق لربوبيته عز وجل وانها لا تحق الا لمن هذه نعوته ، وفي تخصيص (السميع العليم) على ما قال الطيبي ادماج لوعيد الكفار ووعدا المؤمنين الذين تلقوا الرحمة بانواع الشكر ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ بدل من (ربك) اوبيان او نعت * وقرأ غير واحد من السبعة والاعرج . وابن أبي اسحق . وأبو جعفر . وشيبة بالرفع على أنه خبر آخر لإن او خبر مبتدا محذوف أي هو رب ، والجملة مستأنفة لإثبات ما قبلها وتعليله ﴿أَنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ أي إن كنتم ممن عنده شيء من الايقان وطرف من العلوم اليقينية على أن الوصف المتمدى منزل منزلة اللازم لعدم القصد إلى ما يتعلق به ، وجواب الشرط محذوف أي إن كنتم من أهل الايقان علمتم كونه سبحانه رب السموات والارض لأنه من أظهر اليقينيات دليلاً وحينئذ يلزمكم القول بما يقتضيه مما ذكر أولاً ، ويجوز أن يكون مفهوله مقدرًا أي إن كنتم موقنين في اقراركم إذا سئلتهم عن خلق السموات والارض فقاتم الله تعالى خلقهم ، والجواب أيضا محذوف أي إن كنتم موقنين في اقراركم بذلك علمتم ما يقتضيه مما تقدم لظهور اقتضائه إياه ، وجعل غير واحد الجواب على الوجهين تحقق عندكم ما قلناه ، ولم يجوزوا جعله مضمون (رب السموات) الخ لأنه سبحانه كذلك أيقنوا أم لم يوقنوا فلا معنى لجعله دالاً عليه ، وكذا جعله مضمون ما بعد بل هذا مما لا يحسن باعتبار العلم أيضا * وفي هذا الشرط تنزيل ايقانهم منزلة عدمه لظهور خلافه عليهم ، وهو مراد من قال : إنه من باب تنزيل العالم منزلة الجاهل لعدم جريه على موجب العلم ، قيل : ولا يصح أن يقال : إنهم نزلوا منزلة الشاكين لمكان قوله سبحانه بعد : (بل هم في شك) ولا أرى بأساً في أن يقال : إنهم نزلوا أولاً كذلك ثم سجل عليهم بالشك لأنهم وأن أقروا بانه عز وجل رب السموات والارض لم ينفكوا عن الشك لإلحاحهم في صفاته سبحانه واثرا كهم به تعالى شأنه * وجوز أن يكون (موقنين) مجازاً عن مريدين الايقان والجواب محذوف أيضا أي إن كنتم مريدين الايقان فاعلموا ذلك ، وفيه بعد ، وأما جعل (إن) نافية كما حكاها النيسابوري فليس بشيء . كما لا يخفى ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ جملة مستأنفة مقررة لما قبلها ، وقيل : خبر لمبتدأ محذوف أي هو سبحانه لا اله الا هو ، وجملة المبتدأ وخبره مستأنفة مقررة لذلك ، وقيل : خبر آخر لإن على قراءة (رب السموات) بالرفع وجعله خبراً ، وقيل : خبر له على تلك القراءة وما بينهما اعتراض ﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ مستأنفة كما قبلها ، وكذا قوله تعالى ﴿رَبُّكُمْ رَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ باضمار مبتدأ أو بدل من (رب السموات) على تلك القراءة اوبيان أو نعت له ، وقيل : فاعل لميمت ، وفي (يحيي) ضمير راجع اليه والكلام من باب التنازع أو إلى (رب السموات) ، وقيل : (يحيي ويميت) خبر آخر لرب السموات وكذا (ربكم) وقيل : هما خبران آخران لإن ، وقرأ ابن أبي اسحق . وابن محيصن . وأبو حيوة . والزعفراني وابن مقسم . والحسن . وأبو موسى . وعيسى بن سليمان . وصالح كلاهما عن الكسائي بالجربدلاً من (رب السموات) على قراءة الجر ، وقرأ أحمد بن جبير الانطاكي بالنصب على المدح * ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ﴾ اضراب ابطالي أبطل به ايقانهم لعدم جريهم على موجب ، وتنوين (شك) للتعظيم أي

في شك عظيم ﴿يَلْعَبُونَ ٩﴾ لا يقولون ما يقولون بما هو مطابق لنفي الامر عن جدواذعان بل يقولونه مخلوطا بهزه ولعب وهذه الجملة خبر بعد خبر لهم .

وجوز أن تكون هي الخبر والظرف متعلق بالفعل قدم للماصلة ، والالتفات عن خطابهم لفرط عنادهم وعدم التفاتهم ، والفاء في قوله تعالى : ﴿فَارْتَقِبْ﴾ لترتيب الارتقاب أو الامر به على ما قبلها فان كونهم في شك يلعبون بما يوجب ذلك حتما أى فانتظر لهم ﴿يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ١٠﴾ أى يوم تأتي بجذب ومجاعة فان المجائع جدا يرى بينه وبين السماء كهيئة الدخان وهي ظالة تعرض للبصر لضعفه فيتوهم ذلك فاطلاق الدخان على ذلك المرثي باعتبار أن الرائي يتوهم دخانا ، ولا ياباه وصفه بمبين وإرادة الجذب والمجاعة منه مجاز من باب ذكر المسبب وإرادة السبب ولأن الهواء يتكدس سنة الجذب بكثرة الغبار لقلة الامطار المسكنة له فهو كناية عن الجذب وقد فسر ابو عبيدة الدخان به ، وقال القتيبي : يسمى دخانا ليس الارض حتى يرتفع منها ما هو كاللدخان ، وقال بعض العرب : نسمى الشر الغالب دخانا ، ووجه ذلك بان الدخان مما يتأذى به فاطاق على كل مؤذ يشبهه ، وأريد به هنا الجذب ومعناه الحقيقي معروف ، وقياس جمعه في القلة أدخنة وفي الكثرة دخنان نحو غراب وأغربة وغربان ، وشذوا في جمعه على فواعل فقالوا : دواخن كأنه جمع داخنة تقديرا ، وقرينة التجوز فيه هنا حالية كما ستعلمه إن شاء الله تعالى . من الخبر ، والمراد باليوم مطلق الزمان وهو مفعول به لارتقب أو ظرف له والمفعول محذوف أى ارتقب وعد الله تعالى في ذلك اليوم وبالسماء جهة العلو ، وإسنادا لآتيان بذلك اليهما من قبيل الاسناد إلى السبب لأنه يحصل بعدم لإمطارها ولم يسند اليه عز وجل مع أنه سبحانه الفاعل حقيقة ليكون الكلام مع سابقه المتضمن إسناد ما هو رحمة اليه تعالى شأنه على وزان قوله تعالى (أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم) وتفسير الدخان بما فسرناه به مروى عن قتادة . وأبى العالية . والنخعي . والضحاك . ومجاهد . ومقاتل وهو اختيار الفراء . والزجاج *

وقد روى بطرق كثيرة عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه ، أخرجه أحمد . والبخارى . ومجاعة عن مسروق قال : جاء رجل إلى عبد الله فقال : إني تركت رجلا في المسجد يقول في هذه الآية (يوم تأتي السماء بدخان) الخ : يغشى الناس قبل يوم القيامة دخان ، فيأخذ بأسماع المنافقين وأبصارهم ويأخذ المؤمن منه كهيئة الزكام فغضب وكان متكئا فجلس ثم قال : من علم منكم علما فليقل به ، ومن لم يكن يعلم فليقل الله تعالى أعلم . فان من العلم أن يقول لما لا يعلم الله تعالى أعلم ، وسأحدثكم عن الدخان إن قريشا لما استصعبت على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، وأبطؤا عن الاسلام قال : اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف فاصابهم قحط وجهد حتى أظرا العظام ، فجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى ما بينه وبينه كهيئة الدخان من الجوع ، فانزل الله تعالى (فارتقب إلى أليم) فاتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقيل : يا رسول الله استسق الله تعالى لمضر فاستسقى لهم عليه الصلاة والسلام ، فسقوا فانزل الله تعالى (إنا كشفوا العذاب قليلا إنكم عائدون) الخبر . وفي رواية أخرى صحيحة أنه قال : لما رأى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الناس إدارا قال : اللهم سبعا كسبع يوسف فاخذتهم سنة حتى أكلوا الميتة والجلود والعظام ، فجاءه أبو سفيان وناس من أهل مكة فقالوا : يا محمد إنك تزعم أنك قد بعثت رحمة وإن قومك قد هلكوا ، فدفع الله تعالى فدعا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

فسقوا الغيث فاطبقت عليهم سبعا فشكا الناس كثرة المطر فقال : اللهم حوالينا ولا علينا فأنحدرت السحابة عن رأسه فسقى الناس حولهم قال : فقد مضت آية الدخان وهو الجوع الذي أصابهم الحديث ، وظاهره يدل كما في تاريخ ابن كثير على أن القصة كانت بمكة فالآية مكية *

وفي بعض الروايات أن قصة أبي سفيان كانت بعد الهجرة فلعلها وقعت مرتين ، وقد تقدم ما يتعلق بذلك في سورة المؤمنين *

وأخرج ابن أبي حاتم من طريق أبي طيبة عن عبد الرحمن الأعرج أنه قال في هذا الدخان : كان في يوم فتح مكة وفي البحر عنه أنه قال (يوم تأتي السماء وهو يوم فتح مكة لما حجبت السماء الغبرة ، وفي رواية ابن سعيد أن الأعرج يروي عن أبي هريرة أنه قال : كان يوم فتح مكة دخان ، وهو قول الله تعالى (فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين) ويحسن على هذا القول أن يكون كناية عما حل بأهل مكة في ذلك اليوم من الخوف والذل ونحوهما ، وقال على كرم الله تعالى وجهه . وابن عمر . وابن عباس . وأبو سعيد الخدري . وزيد بن علي . والحسن : أنه دخان يأتي من السماء قبل يوم القيامة يدخل في أسماع الكفرة حتى يكون رأس الواحد كالرأس الحنيد ويعتري المؤمن كهية الزكام وتكون الأرض كلها كبيت أوقد فيه ليس فيه خصاص *

وأخرج ابن جرير عن حذيفة بن اليمان مرفوعا أول الآيات الدجال ونزول عيسى ونار تخرج من قعر عدن أبين تسوق الناس إلى المحشر تقيل معهم إذا قالوا والدخان ، قال حذيفة : يارسول الله وما الدخان ؟ فتلا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين) وقال : يملا ما بين المشرق والمغرب يمكث أربعين يوما وليلة ، أما المؤمن فيصيبه منه كهية الزكمة ، وأما الكافر فيكون بمنزلة السكران يخرج من منخريه وأذنيه ودبره ، فالدخان على ظاهره والمعنى فارتقب يوم ظهور الدخان *

وحكى السفاريني في البحور الزاخرة عن ابن مسعود أنه كان يقول : هما دخانان مضى واحد والذي بقي يملا ما بين السماء والأرض ولا يصيب المؤمن إلا بالزكمة وأما الكافر فيشق مسامعه فيبعث الله تعالى عند ذلك الريح الجنوب من اليمن فتقبض روح كل مؤمن ويبقى شرار الناس ، ولا أظن صحة هذه الرواية عنه وحمل ما في الآية على ما يعم الدخانين لا يخفى حاله ، وقيل : المراد بيوم تأتي السماء الخ يوم القيامة فالدخان يحتمل أن يراد به الشدة والشر مجازا وأن يراد به حقيقة *

وقال الحفاجي : الظاهر عليه أن يكون قوله تعالى : (تأتي السماء) إلى آخره استعارة تمثيلية إذ لا سماء لأنه يوم تشقق فيه السماء ففرداته على حقيقتها ، وأنت تعلم أنه لا مانع من القول بأن السماء كما سمعت أولا بمعنى جهة العلو سلمنا أنها بمعنى الجرم المعروف لكن لا مانع من كون الدخان قبل تشققها بأن يكون حين يخرج الناس من القبور مثلا بل لا مانع من القول بأن المراد من آتيان السماء بدخان استحالتها إليه بعد تشققها وعودها إلى ما كانت عليه أولا كما قال سبحانه : (ثم استوى إلى السماء وهي دخان) ويكون فتاؤها بعد صيرورتها دخانا * هذا والظاهر حمل الدخان على ما روى عن ابن مسعود أولا لأنه أنسب بالسياق لما أنه في كفار قریش وبيان سوء حالهم مع أن في الآيات بعد ما هو أوفق به ، فوجه الربط أنه سبحانه لما ذكر من حالهم مقابلتهم الرحمة بالكفران وأنهم لم ينتفعوا بالمنزل والمنزل عليه عقب بقوله تعالى شأنه (فارتقب يوم) الخ ، للدلالة على أنهم

أهل العذاب والخذلان لا أهل الا كرام والغفران (يَغْشَى النَّاسَ) أى يحيط أنهم والمراد بهم كفار قريش ومن جعل الدخان ماهو من أشرط الساعة حمل الناس على من ادركه ذلك الوقت ، ومن جعل ذلك يوم القيامة حمل الناس على العموم ، والجملة صفة أخرى للدخان *

وقوله تعالى (هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ١١ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ١٢) فى موضع نصب بقول مقدر وقع حالا أى قائلين أو يقولون هذا النخ . والاشارة للتفخيم ، وقيل: يجوز أن يكون هذا عذاب أليم إخبارا منه عز وجل تهويلا للامر كما قال سبحانه وتعالى فى قصة الذبيح (إن هذا هو البلاء المبين) فهو استئناف أو اعتراض والاشارة بهذاللدلالة على قرب وقوعه وتحققه، وما تقدم أولى، وقوله سبحانه: (ربنا) إلى آخره كما صرح به غير واحد من المفسرين وعد منهم بالايان إن كشف جل وعلا عنهم العذاب، فكأنهم قالوا: ربنا إن كشفت عنا العذاب آثمنا لكن عدلوا عنه إلى ما فى المنزل إظهار المزيد الرغبة وحملوه على ذلك لما فى بعض الروايات أنه لما اشتد القحط بقريش مشى أبو سفيان إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وناشده الرحم وواعده أن دعا لهم وزال ما بهم آمنوا والمراد بقوله سبحانه وتعالى *

(أَيُّ لَهِمُّ الذِّكْرَى) نفى صدقهم فى الوعد وأن غرضهم انما هو كشف العذاب والخلاص أى كيف يتذكرون أو من أين يتذكرون بذلك ويفنون بما وعدوه من الايمان عند كشف العذاب عنهم *

(وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ١٣) أى والحال أنهم شاهدوا من دواعى التذكر وموجبات الاتعاظ ماهو أعظم من ذلك فى إيجابها حيث جاءهم رسول عظيم الشأن ظاهر أمر رسالته بالآيات والمعجزات التى تخر لها صم الجبال أو مظهر لهم مناهج الحق بذلك (ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ) أى عن ذلك الرسول عليه الصلاة والسلام وهو هو والجملة عطف على قوله تعالى و (قد جاءهم) الى آخره، وعطفها على قوله سبحانه: (ربنا) النخ لانه على معنى قالوا: (ربنا) النخ ليس بذاك، و ثم للاستبعاد والترأخى الرتبى والافهم قد تولوا ريثما جاءهم وشاهدوا منه ما شاهدوا مما يوجب الاقبال اليه صلى الله تعالى عليه وسلم (وَقَالُوا) مع ذلك فى حقه عليه الصلاة والسلام *

(مُعَلِّمٌ مِّجْنُونٌ ١٤) أى قالوا تارة: يعلمه عداس غلام رومى لبعض ثقيف وأخرى مجنون أو يقول بعضهم كذا وآخرون كذا ولم يقل ومجنون بالعطف لأن المقصود تعديد قبائحهم وقرأ زر بن حبیش معلم بكسر اللام فمجنون صفة له وكانهم أرادوا رسول مجنون وحاشاه ثم حاشاه صلى الله تعالى عليه وسلم *

(إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ١٥) جواب من جهته تعالى عن قولهم وأخبار بالعود على تقدير الكشف أى ان كشفنا عنكم العذاب كشفا قليلا أو زمانا قليلا عدتم، والمراد على ما قيل عائدون الى الكفر، وإن لم تعلم أن عودهم اليه يقتضى ايمانهم وقد مر أنهم لم يؤمنوا وانما وعدوا الايمان فاما أن يكون وعدمهم منزلا منزلة ايمانهم أو المراد عائدون الى الثبات على الكفر أو على الاقرار والتصريح به وقال قتادة: هذا توعدهم بمعاد الآخرة وهو خلاف الظاهر جدا ومن قال: إن الدخان يوم القيامة قال إن قوله سبحانه: (إنا كاشفوا) الى آخره وعد بالكشف على نحو قوله عز وجل: (ولورثوا) لعادوا لما نهوا عنه ومن قال المراد به ماهو من اشرط الساعة قال بإمكان الكشف وعدم انقطاع التكليف عند ظهوره وإن كان من الاشرط بل جاء فى

بعض الآثار أنه يمكث أربعين يوماً وليلة فيكشف عنهم فيعودون إلى ما كانوا عليه من الضلال، وحمله على ما روى عن ابن مسعود ظاهر الاستقامة لا قيل فيه ولا قال، وقوله سبحانه: (وقد جاءهم) الخ قوى الملامة له وهو بعيد الملامة للقول المروي عن الأمير كرم الله تعالى وجهه ومن معه فقد احتيج في تحصيلها إلى جعل الاسناد من باب اسناد حال البعض إلى الكل أو حمل الناس على الكفار الموجودين في ذلك الوقت والامر على القول بأنه ما كان في فتح مكة أهون إلا أنه مع ذلك ليس كقول ابن مسعود فتأمل ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى﴾ هو يوم بدر عند ابن مسعود وأخرجه عبد بن حميد . وابن جرير عن أبي بن كعب . ومجاهد . والحسن . وأبي العالية . وسعيد بن جبير . ومحمد بن سيرين . وقتادة . وعطية ، وأخرجه ابن مردويه عن ابن عباس * وأخرج ابن جرير . وعبد بن حميد بسند صحيح عن عكرمة . قال: قال ابن عباس قال ابن مسعود البطشة الكبرى يوم بدر، وأنا أقول: هي يوم القيامة ونقل في البحر حكاية أنه يوم القيامة عن الحسن . وقتادة أيضاً * والظرف معمول للمادل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّا مُنْتَقِمُونَ ١٦﴾ أي إنا منتقم يوم إذا انما منتقمون، وقيل لمنتقمون ورده الزجاج وغيره بأن ما بعد أن لا يجوز أن يعمل فيما قبلها، وقيل لعائدون على معنى انكم لعائدون إلى العذاب يوم نبطش * وقيل بكاشفوا العذاب وليس بشيء . وقيل لذكركم أو اذكركم مقدرا، وقيل هو بدل من (يوم تأتي) الخ * وقرئ (نبطش) بضم الطاء وقرأ الحسن . وأبو رجاء . وطلحة بخلاف عنه (نبطش) بضم النون من باب الافعال على معنى نحمل الملائكة عليهم السلام على أن يبطشوا بهم أو نمكنهم من ذلك فالمفعول به محذوف للعلم وزيادة التهويل ، وجعل البطشة على هذا مفعولا مطلقا على طريقة أنبتكم نباتا، وقال ابن جني : وأبو حيان: هي منصوبة بفعل مضمر يدل عليه الظاهر أي يوم نبطش من نبطشه فيبطش البطشة الكبرى، وقال ابن جني: ولك أن تنصبها على أنها مفعول كما به نه قيل: يوم نقوى البطشة الكبرى عليهم ونمكنها منهم كقولك: يوم نسلط القتل عليهم ونوسع الأخذ منهم ، وفي القاموس بطش به يبطش ويبطش أخذه بالعنف والسطوة كابطشه والبطش الأخذ الشديد في كل شيء والبأس اه فلا تغفل ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ أي امتحناهم بارسال موسى عليه السلام اليهم على أنه من فتن الفضة عرضها على النار فيكون بمعنى الامتحان وهو استعارة والمراد عاملناهم معاملة الممتحن ليظهر حالهم لغيرهم أراوقعناهم في الفتنة على أنه بمعناه المعروف والمراد بالفتنة حينئذ ما يفتن به الشخص أي يغتر ويغفل عما فيه صلاحه كما في قوله تعالى: (انما أوالكم وأولادكم فتنة) وفسرت هنا بالامهال وتوسيع الرزق * وفسر بعضهم الفتنة بالعذاب ثم تجوز به عن المعاصي التي هي سبب وهو تكلف مالا داعي له * وقرئ (فتنا) بتشديد التاء إما لتأكيد معناه المصدري أو لتكثير المفعول أو الفعل *.

﴿وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ١٧﴾ أي مكرم معظم عند الله عز وجل أو عند المؤمنين أو عنده تعالى وعندهم أو كريم في نفسه متصف بالخصال الحميدة والصفات الجليلة حسبا ونسبا ، وقال الراغب: الكرم إذا وصف به الإنسان فهو اسم للأخلاق والافعال الحمودة التي تظهر منه ولا يقال هو كريم حتى يظهر ذلك منه ، ونقل عن بعض العلماء أن الكرم كالحرية إلا أن الحرية قد تقال في المحاسن الصغيرة والكبيرة والكرم لا يقال إلا في المحاسن الكبيرة وقال الخفاجي أصل معنى الكريم جامع المحامد والمنافع وادعى لذلك أن تفسيره به أحسن من تفسيره بالتفسيرين السابقين

(**أَنْ أَدُوا إِلَىٰ عِبَادِ اللَّهِ**) اطلقوهم وسلبوهم إلى ، والمراد بهم بنو اسرائيل الذين كان فرعون مستعبدهم ، والتعبير عنهم بعباد الله تعالى للإشارة إلى أن استعباده إياهم ظلم منه ، والاداء مجاز عما ذكر ، وهذا كقوله عليه السلام فأرسل معني بنو اسرائيل ولا تعذبهم وروى ذلك عن ابن زيد ومجاهد . وقادة او أدوا إلى حق الله تعالى من الايمان وقبول الدعوة يا عباد الله على أن مفعول (أدوا) محذوف وعباد منادى وهو عام لبني اسرائيل والقبط ، والاداء بمعنى الفعل للطاعة وقبول الدعوة وروى هذا عن ابن عباس ، وأن عليهما قيل ، صدرية قبلها حرف جر مقدر متعاق مجاءهم أى بأن أدوا ، وتعقب بأنه لا معنى لقولك : جاءهم بالتأدية إلى ، وحمله على طلب التأدية إلى لا يخلو عن تعسف ورد بأنه بتقدير القول وهو شائع . مطرد فتقديره بأن قال ادوا إلى ولا يخلو عن تكلف ما ومع هذا الامر مبنى على جواز وصل المصدرية بالامر والنهى وهو غير متفق عليه ، نعم الاصح الجواز . وقيل : هي مخففة من الثقيلة ، وتعقب بأنها حيثئذ يقدر معها ضمير الشأن ومفسره لا يكون الا جملة خبرية وأيضا لا بد أن يقع بعدها النفي أو قد أو السين أو سوف أولو وأن يتقدمها فعل قلبي ونحوه وأجيب بان مجئ الرسول يتضمن معنى فعل التحقيق كالأعلام والفصل المذكور غير متفق عليه ، فقد ذهب المبرد تبعاً للبخاري إلى عدم اشتراطه ، والقول بأنه شاذ يضان القرآن عن مثله غير مسلم واشترط كون مفسر ضمير الشأن جملة خبرية فيه خلاف على ما يفهم من كلام بعضهم ، ولم يذكر في المعنى في الباب الرابع في الكلام على ضمير الشأن الا اشتراط كون مفسره جملة ولم يشترط فيها الخبرية ولم يتعرض للخلاف ، نعم قال في الباب الخامس : النوع الثامن اشتراطهم في بعض الجملة الخبرية وفي بعضها الانشائية وعدم من الأول خبران وضمير الشأن لكنه قال بعد : وينبغي أن يستثنى من ذلك في خبري أن وضمير الشأن خبر أن المفتوحة إذا خففت فانه يجوز أن يكون جملة دعائية كقوله تعالى والخامسة (أن غضب الله عليها) في قراءة من قرأ أن وغضب بالفعل والاسم الجليل فاعل . وحقق بعض الاجلة أن الاخبار عن ضمير الشأن بجملة انشائية جائز عند النحشى أو هي مفسرة وقد تقدم ما يدل على القول دون حروفه لأن مجئ الرسول يكون برسالة ودعوة وكان التفسير لمعلقة المقدر أى جاءهم بالدعوة وهى أن ادوا إلى عباد الله (**إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ١٨ وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ**) ولا تستكبروا عليه سبحانه بالاستهانة بوحيه جل شأنه ورسوله عليه السلام (وأن) كالتى قبلها ، والمعنى على المصدرية بكم عن العلو على الله تعالى (**وَإِنِّي لَأَتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ١٩**) تعليل للنهى أى آتيكم بحجة واضحة لاسيلا إلى انكارها أو موضحة صدق دعواي (وآتيكم) على صيغة الفاعل أو المضارع ، ولا يخفى حسن ذكر الامين مع الاداء والسلطان مع العلاء ، وذكر أن في الأول ترشيحا للاستعارة المصروفة أو المكنية بجملة ما كانهم مال للغير في يده أمره بدفعه لمن يؤتمن عليه وفي الثانى تورية عن معنى الملك مرشحة بقوله (لا تملوا) وقرأت فرقة (أنى) بفتح الهمزة فليل هو أيضا على تعليل النهى بتقدير اللام ، وقيل : هو متعلق بما دخله النهى نظير قولك لمن غضب من قول الحق له لا تغضب لأن قيل لك الحق (**وَإِنِّي عَذْتُ رَبِّي وَرَبِّكُمْ**) أى التجأت اليه تعالى وتوكلت عليه جل شأنه (**أَنْ تَرْجُونَ ٢٠**) من ان ترجموني أى تؤذوني ضربا أو شتما أو أن تقتلوني ، وروى هذا عن قتادة وجماعة قيل . لما قال : أن لا تملوا على الله توعدوه بالقتل فقال ذلك ، وفي البحر ان هذا كان قبل أن يخبره عز وجل بعجزهم عن رجمه بقوله

سبحانه: فلا يصلون اليكما والجملة عطف على الجملة المستأنفة، وقرأ أبو عمرو: والاخوان عت بادغام الذال في التاء ﴿وَأَنْ لَّمْ تَوْمَنُوا لِي فَأَعْتَزَلُونِ ٢١﴾ فيكونوا بمعزل مني لا على ولا لي ولا تعرضوا لي بسوء فليس ذلك جزاء من يدعوكم الى ما فيه فلا حكم، وقيل: المعنى وإن لم تؤمنوا لي فلا موالاتي بيني وبين من لا يؤمن فتشعروا واقطعوا أسباب الوصلة عني، ففي الكلام حذف الجواب واقامة المسبب عنه مقامه والاول وفق بالمقام، والاعتزال عليه عبارة عن الترك وإن لم تكن مفارقة بالابدان ﴿فَدَعَا رَبَّهُ﴾ بعد أن اصرروا على تكذيبه عليه السلام ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مَّجْرُمُونَ ٢٢﴾ أي بان هؤلاء الخ فهو بتقدير الباء صلة الدعاء كما يقال دعا بهذا الدعاء، وفيه اختصار كأنه قيل: أن هؤلاء قوم مجرمون تنأى أمرهم في الكفر وأنت اعلم بهم فافعل بهم ما يستحقونه قيل كان دعاؤه عليه السلام اللهم عجل لهم ما يستحقون باجرامهم، وقيل: قوله (ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين) الى قوله (فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم) وإنما ذكر الله سبحانه السبب الذي استوجبوا به الهلاك ليعلم منه دعاؤه والاجابة معا وإن دعاه كان على يأس من ايمانهم وهذا من بليغ اختصارات الكتاب المعجزة وقرأ ابن أبي اسحق: وعيسى. والحسن في رواية: وزيد بن علي بكسر همزة أن وخرج على اضمار القول أي قائلا أن هؤلاء الخ ﴿فَأَسْرَ بَعَادَى﴾ وهم بنو اسرائيل ومن آمن به من القبط ﴿لَيْلًا﴾ بقطع من الليل، والكلام باضمار القول أما بعد الفاء أي فقال اسر الخ فالفاء للتعقيب والترتيب والقول معطوف على ما قبله أو قبلها كأنه قيل قال: أو فقال أن كان الامر كما تقول فاسر الخ، فالفاء واقعة في جواب شرط مقدر وهو وجوابه مقول القول المقدر مع الفاء أو بدونها على أنه استئناف والاضمار الاول أولى لقلة التقدير مع أن تقدير ان لا يناسب إذ لا شك فيه تحقيقا ولا تنزيلا وجعلها بمعنى إذا تكلف على تكلف وأبو حيان لا يجيز حذف الشرط وإبقاء جوابه في مثل هذا الموضع وقد شنع على الزمخشري في تجويزه، وقرأ نافع: وابن كثير: (فاسر) بوصل الهمزة من سرى ﴿أَنْتُمْ مَتَّبِعُونَ ٢٣﴾ يتبعكم فرعون وجنوده إذا علموا بخروجكم فالجملة مستأنفة لتعليل الامر بالسرى ليلا ليتأخر العلم به فلا يدر كون والتأكيذ لتقدم ما يلوح بالخبر ﴿وَأَتْرَكَ الْبَحْرَ رَهْوًا﴾ أي ما كنا كما قال ابن عباس يقال رها البحر يرهو رهو سكنا ويقال: جامت الخيل رهوا أي ساكنة، قال الشاعر:

والخيل تمزع رهوا في أعنتها كالطير ينجوم من الشؤ بوب ذي البرد

ويقال افعل ذلك رهوا أي ساكنة على هيئة وأنشد غير واحد للقطامي في نعت الركاب:

يمشون رهوا فلا الاعجاز خاذلة ولا الصدور على الاعجاز تتكل

والظاهر أنه مصدر في الاصل يؤول باسم الفاعل، وجوز أن يكون بمعنى الساكن حقيقة وعن مجاهد رهوا أي منفرجا مفتوحا قال أبو عبيدة رها الرجل يرهو رهوا فتح بين رجله، وعن بعض العرب أنه رأى جملا فالجا أي ذا سنمين فقال: سبحان الله تعالى رهو بين سنمين قالوا: أراد فرجة واسعة، والظاهر أيضا أنه مصدر مؤول أو فيه مضاف مقدر أي ذا فرجة قال قتادة: أراد موسى عليه السلام بعد أن جاوز البحر هو ومن معه أن يضربه بعصاه حتى يلتئم كما ضربه أولا فانفلق لثلا يتبعه فرعون وجنوده فأمر بأن يتركه رهوا أي مفتوحا منفرجا أو ساكنة على هيئته قارا على حاله من انتصاب الماء وكون الطريق يابس ولا

يضربه بمصاه ولا يغير منه شيئا ليدخله القبط فاذا حصلوا فيه أطبقه الله تعالى عليهم ، وذلك قوله تعالى : ﴿لَهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ ٢٤﴾ فهو تعليل للأمر بتركه رهوا ، وقيل : رهوا سهلا ، وقيل : يابسا ، وقيل : جددا ، وقيل : غير ذلك والكل بيان لحاصل المعنى ، وزعم الراغب أن الصحيح أن رهو السعة من الطريق ثم قال : ومنه الرهاء المفاضة المستوية ويقال لكل جوبة مستوية يجتمع فيها الماء رهو ومنه قيل : لاشفعة في رهو . والحق أن ما ذكره من جملة إطلاقاته وأما أنه الصحيح فلا وقرئ (أنهم) بالفتح أى لأنهم ﴿كَمْ تَرَكُوا﴾ أى كثير اتركوا بمصر ﴿مَنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ٢٥ دَرُوعٌ وَمَقَامٌ كَرِيمٍ ٢٦﴾ حسن شريف في بابه ، وأريد بذلك ما روى عن قتادة المواضع الحسان من المجالس والمسكن وغيرها •

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس . وابن مردويه عن جابر أنه أريد به المنابر ، وروى ذلك عن مجاهد وابن جبير أيضا ، وقيل : السرر في الحجال والاول أولى ، وقرأ ابن هرمز . وقتادة . وابن السميعة . ونافع في رواية خارجة (مقام) بضم الميم ﴿وَنَعْمَةٌ﴾ أى تنعم ، قال الراغب : النعمة بالفتح التمتع وبناءها من الفعل كالضربة والشفعة والنعمة بالكسر الحالة الحسنة وبناءها التى يكون عاينها الانسان كالجلسة والركبة وتقال للجنس الصادق بالقليل والكثير واختير ههنا تفسير النعمة بالشئ المنعم به لأنه أنسب للترك وهي كثيرا ما تكون بهذا المعنى •

وقرأ أبو رجاء (ونعمة) بالنصب وخرج بالدخف على (كم) ، وقيل : هي معطوفة على محل ما قبلها كأنه قيل : كم تركوا جنات وعيونا وزروعا ومقاما كريما ونعمة ﴿كَانُوا فِيهَا فَأَكْبَهْنَ ٢٧﴾ طيى الأنف وأصحاب فأكهة ففكا كه كلابن وتامر ، وقال القشيري : لاهين ، وقرأ الحسن . وأبو رجاء (فكهنين) بغير ألف والفكه يستعمل كثيرا في المستخف المستهزئ فالمعنى مستخفين بشكر النعمة التى كانوا فيها •

وقال الجوهري : فكه الرجل بالكسر فهو فكه إذا كان مزاحا والفكه أيضا الأشر ﴿كَذَلِكَ﴾ قال الزجاج : المعنى الأمر كذلك ، والمراد التأكيد والتقرير فيوقف على ذلك فالعكاف في موضع رفع خبر مبتدا محذوف أو الجار والمجرور كذلك ، وقيل : العكاف في موضع نصب أى نفعل فعلا كذلك لمن نريد إهلاكه ، وقول السكبي : أى كذلك أفعل بمن عصاني ظاهر فيما ذكر ، وقال الزمخشري : العكاف منصوبة على معنى مثل ذلك الإخراج أى المفهوم مما تقدم أخرجنهم منها ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ٢٨﴾ عطف على تركوا والجملة معترضة فيما عدا القول الأخير وعلى أخرجنهم فيه ، وقيل : العكاف منصوبة على معنى تركوا تركا مثل ذلك فالعطف على (تركوا) بدون اعتراض وهو كما ترى ، والمراد بالقوم الآخرين بنو إسرائيل وهم مغايرون للقبط جنسا ودينا . ويفسر ذلك قوله تعالى في سورة الشعراء : (كذلك وأورثناها بنى إسرائيل) وهو ظاهر في أن بنى إسرائيل رجعوا إلى مصر بعد هلاك فرعون وملكوها وبه قال الحسن : وقيل : المراد بهم غير بنى إسرائيل ممن ملك مصر بعد هلاك القبط واليه ذهب قتادة قال : لم يرد في مشهور التواريخ أن بنى إسرائيل رجعوا إلى مصر ولا أنهم ملكوها قط وأول ما في سورة الشعراء بأنه من باب (وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره) وقولك : عندي درهم ونصفه فليس المراد خصوص ما تركوه

بل نفعه وما يشبهه ، والايراث الاعطاء . وقيل : المراد من ايراثها اياهم تمكينهم من التصرف فيها ولا يتوقف ذلك على رجوعهم إلى مصر كما كانوا فيها أولا ، وأخذ جمع بقول الحسن وقالوا لا اعتبار بالتواريخ وكذا الكتب التي بيد اليهود اليوم لما أن الكذب فيها كثير وحسبنا كتاب الله تعالى وهو سبحانه أصدق القائلين وكتابه جل وعلا مأمون من تحريف المحرفين ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ ﴾ مجاز عن عدم الاكتراث بهلاكهم والاعتداد بوجودهم ، وهو استعارة تمثيلية تخيلية شبه حال موتهم لشدة وعظمتهم بحال من تبكى عليه السماء والارض العظام واثبت له ذلك والنفي تابع للاثبات في التجوز كما حقق في موضعه ، وقيل : هي استعارة ممكنة تخيلية بان شبه السماء والارض بالانسان واسند اليهما البكاء أو تمثيلية بان شبه حالهما في عدم تغير حالهما بقاءهما على ما كانا عليه بحال من لم يبكي ، وليس بشيء كما لا يخفى على من راجع كلامهم ، وقد كثرت التعظيم لمهلك الشخص بكت عليه السماء والارض وبكته الريح ونحو ذلك ، قال يزيد بن مفرغ :

الريح يبكي شجوه والبرق يلعب في غمامه

وقال النابغة :

بكى حارث الجولان من فقدربه و حوران منه خاشع متضائل

أراد بهما مكانين معروفين ، وقال جرير :

لما أتى خبر الزبير تواضعت سور المدينة والجبال الخشع

وقال الفرزدق يرثي أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز :

الشمس طالعة ليست بكاسفة تبكي عليك نجوم الليل والقمر

يتعجب من طلوع الشمس وكان من حقها أن لا تطلع أو تطالع كاسفة ، والنجوم تروى منصوبة ومرفوعة فالنصب على المغالبة أي تغلب الشمس النجوم في البكاء نحو باكية فبكته ، قال جابر الله : كان رضى الله تعالى عنه يتعبد بالليل فتبكيه النجوم ويعدل بالنهار فتبكيه الشمس والشمس غالبية في البكاء لأن العدل أفضل من صلاة الليل ، والجوهرى جعلها منصوبة بكاسفة أي لا تكشف ضوء النجوم لكثرة بكائها وكأنه جعل خفاء النجوم تحت ضوء الشمس كسفا لها مجازا ، وفيه أن الكشف بالمعنى المذكور غير واضح وتحال تبكى غير مستفصح وفي حواشي الصحاح الشمس كاسفة ليست بطالعة . وفيها أن نجوم الليل ظرف أي طول الدهر كأنه من باب آتيك الشمس والقمر أي وقتها كأنه قيل : تبكى ما يطلع النجوم والقمر ، وفيه أن مثل هذا الظرف مسموع لا يثبت الاثبت فكيف يعدل اليه مع المعنى الواضح ، وقيل : التقدير تبكى بكاء النجوم فحذف المضاف ، وفيه أنه لما لا يكاد يفهم ، والرفع واضح والقمر منصوب على أنه مفعول معه وهذا استطراد دعاءا اليه شهرة البيت مع كثرة الخطب فيه .

وأخرج الترمذى : وجماعة عن أنس قال قال : « رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم آمن عبد الا وله في السماء بابان باب يصعد منه عمله وباب ينزل منه رزقه فالؤمن اذا مات فقدها وبكى عليه وتلا هذه الآية (فما بكت عليهم السماء والارض) » وذكر أنهم لم يكونوا يعملون على وجه الارض عملا صالحا فتفقدتهم فتبكى عليهم ، ولم يصعد لهم الى السماء من كلامهم ولا من عملهم كلام طيب ولا عمل صالح فتفقدتهم فتبكى عليهم .

وأخرج البيهقي في شعب الإيمان والحاكم وصححه وغيرهما عن ابن عباس قال: «إن الأرض لتبكي على المؤمن أربعين صباحاً ثم قرأ الآية» وأخرج ابن المنذر . وغيره عن علي كرم الله تعالى وجهه أنه قال: إن المؤمن إذا مات بكى عليه مصلاه من الأرض ومصعد عمله من السماء ثم تلا (فما بكى) الخ وجعلوا كل ذلك من باب التمثيل . ومن أثبت كالصوفية للأجرام السماوية والأرضية وسائر الجمادات شعوراً لا نقابها لم يحتج إلى اعتبار التمثيل وأثبت بكاء حقيقياً لها حسباً تقتضيه ذاتها ويليق بها أو أوله بالحزن أو نحوه وأثبت لها حسب ذلك أيضاً . وأخرج ابن جرير . وابن المنذر عن عطاء بكاء السماء حمرة أطرافها . وأخرج ابن أبي الدنيا عن الحسن نحوه ، وأخرج عن سفيان الثوري قال: كان يقال هذه الحمرة التي تكون في السماء بكاء السماء على المؤمن ، ولعمري ينبغي لمن لم يضحك من ذلك أن يبكي على عقله ، وأنا لا أعتقد أن من ذكر من الاجلة كانوا يعتقدونه ، وقيل: إن الآية على تقدير مضاف أي فما بكى عليهم سكان السماء وهم الملائكة وسكان الأرض وهم المؤمنون بل كانوا بهلاً كههم مسرورين .

وروى هذا عن الحسن والاحسن ما تقدم ((وما كانوا)) لما جاء وقت هلاكهم ((منظرين ٢٩)) مملين إلى وقت آخر أو إلى يوم القيامة بل عجل لهم في الدنيا ((وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ)) بما فعلنا بفرعون وقومه ما فعلنا ((مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ٣٠)) من استعباد فرعون وقتله أبناءهم واستحيائه نساءهم على الخسف والضيم ((مِنْ فِرْعَوْنَ)) بدل من العذاب على حذف المضاف والتقدير من عذاب فرعون أو جعله عليه اللامنة عين العذاب مبالغة ، وجوز أن يتعلق بمحذوف يقع حالا أي كائنا من جهة فرعون ، وقيل: متعلق بمحذوف واقع صفة أي كائنا أو السكائن من فرعون ولا بأس بهذا إذا لم يعد ذلك من حذف الموصول مع بعض صلته . وقرأ عبد الله (من عذاب الممين) على إضافة الموصوف إلى صفة كقوله الحمقاء . وقرأ ابن عباس عن (فرعون) على الاستفهام لتهويل العذاب أي هل تعرفون من فرعون في عقوه وشيطنته فما ظنكم بعذابه ، وقيل: لتحقير فرعون بجعله غير معلوم يستفهم عنه كالكرة لما فيه في القبايح التي لم يعهد مثلها وما يجد يناسب ما قبل كما لا يخفى . وأياما كان فالظاهر أن الجملة استئناف ، وقيل: إنها مقول قول مقدر هو صفة للعذاب ، وقدر المقول عنده إن كان تعريف العذاب للعهد ومقول إن كان للجنس فلا تغفل ((إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا)) متكبرا ((مِنَ الْمُسْرِفِينَ ٣١)) في الشر والفساد، والجار والمجرور إما خبر ثان لكان أي كان متكبرا مغرقا في الاسراف، وإما حال من الضمير المستتر في عاليا أي كان متكبرا في حال اغراقه في الاسراف ((وَلَقَدْ اخْتَرْنَاهُمْ)) أي اصطفاهمنا بني إسرائيل وشرفناهم ((عَلَى عِلْمٍ)) أي عالمين باستحقاقهم ذلك أو مع علم منا بما يفرط منهم في بعض الأحوال ، وقيل : عالمين بما يصدر منهم من العدل والاحسان والعلم والإيمان ، ويرجع هذا إلى ما قيل أولا فان العدل ومأمعه من اسباب الاستحقاق ، وقيل : لأجل علم فيهم ، وتعقب بأنه ركيك لأن تنكير العلم لا يصادف محزه .

وأجيب بأنه للتعظيم وبحسن اعتباره علة للاختيار ((عَلَى الْعَالَمِينَ ٣٢)) أي عالمي زمانهم كما قال مجاهد . وقادة فالتعريف للعهد أو الاستغراق العرفي فلا يلزم تفضيلهم على أمة محمد ﷺ الذين هم خير أمة أخرجت للناس

على الاطلاق ، وجوز أن يكون للاستغراق الحقيقي والتفضيل باعتبار كثرة الانبياء عليهم السلام فيهم لامن كل الوجوه حتى يلزم تفضيلهم على هذه الأمة المحمدية ، وقيل : المراد اختراهم للايماء على الوجه الذي وقع وخصصناهم به دون العالمين ، وليس بشيء ، وما ذكرنا يعلم أنه ليس في الآية تعاق حرفي جر بمعنى بمتعلق واحد لأن الأول متعلق بمحذوف وقع حالا والثاني متعلق بالفعل كقوله :

ويوما على ظهر الكتيب تعذرت على وآلت حلقة لم تحلل

وقيل : لأن كل حرف بمعنى ﴿وَمَا تَيْنَانُهُمُ مِنَ الْآيَاتِ﴾ كفلق البحر وتظليل الغمام وإنزال المن والسلوى وغيرها من عظام الآيات التي لم يعهد مثلها في غيرهم ، وبعضها وأن أوتيا موسى عليه السلام يصدق عليه أنهم أوتوه لأن ما للذي لامته ﴿مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُبِينٌ ۚ﴾ أي نعمة ظاهرة أو اختبار ظاهر للنظر كيف يعملون ، وفي (فيه) إشارة إلى أن هناك أمورا أخرى ككونه معجزة ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ﴾ كفارق ريش لأن الكلام فيهم ، وذكر قصة فرعون وقومه استطرادى للدلالة على أنهم مثلهم في الاصرار على الضلالة والانذار عن مثل ما حل بهم ، وفي اسم الإشارة تحقير لهم ﴿لَيَقُولُنَّ ۚ﴾ ان هي إلا مَوْتُنَا الْأُولَى أي ما العاقبة ونهاية الامر إلا الموتة الأولى المزية للحياة الدنيوية ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ ۚ﴾ أي بمبعوثين بعدها ، وتوصيفها بالأولى ليس لقصد مقابلة الثانية كما في قولك : حج زيد الحجة الأولى ، ومات •

قال الاسنوي في التمهيد : الأول في اللغة ابتداء الشيء ثم قد يكون له ثان وقد لا يكون ، كما تقول : هذا أول ما اكتسبته فقد تكتسب بعده شيئا وقد لا تكتسب كذا ذكره جماعة منهم الواحدى في تفسيره والزجاج • ومن فروع المسئلة ما لوقال : إن كان أول ولد تلدينه ذكرًا فأنت طالق تطلق إذا ولدته ، وإن لم تلد غيره بالاتفاق ، قال أبو علي : اتفقوا على أنه ليس من شرط كونه أولا أن يكون بعده آخر ، وإنما الشرط أن لا يتقدم عليه غيره اهـ ، ومنه يعلم ما في قول بعضهم : إن الأول يضايف الآخر والثاني يقتضى وجوده بلاشبهة ، والمثال إن صح قائما هو فيمن نوى تعدد الحج فاخترته المنية فالحج ثان باعتبار العزم من قصور الاطلاع وأنه لا حاجة إلى أن يقال : أنها أولى بالنسبة إلى ما بعدها من حياة الآخرة بل هو في حد ذاته غير مقبول لما قال ابن المنير من أن الأولى إنما يقابلها أخرى تشاركها في أخص معانيها ، فكما لا يصح أو لا يحسن أن يقال : جاءني رجل وامرأة أخرى لا يقال الموتة الأولى بالنسبة لحياة الآخرة ، وقيل : انه قيل لهم أنكم تموتون وموتة تتبعها حياة كما تقدمتكم موتة قد تتبعها حياة ، وذلك قوله عز وجل (وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم) فقالوا (إن هي إلا موتتنا الأولى) يريدون ما الموتة التي من شأنها أن تتبعها حياة ، إلا الموتة الأولى دون الثانية وما هذه الصفة التي تصفون بها الموتة من تعقب الحياة لها إلا للموتة الأولى خاصة ، وهذا ما ارتضاه جارا لله وأراد أن النفي والاثبات لما كان لرد المنكر المصر إلى الصواب كان منزلا على إنكارهم ، لا سيما والتعريف في الأولى تعريف عهد ، وقوله تعالى : (الموتة الأولى) تفسير للمبهم وهي على نحو هي العرب تقول كذا فينبطقان والمعهود الموتة التي تتبعها الحياة الدنيوية ، ولذلك استشهد بقوله تعالى (وكنتم أمواتا) الخ فليس اعتبار الوصف عدولا عن الظاهر من غير حاجة كما قال ابن المنير . وقوله في الاعتراض أيضا : إن الموت السابق على الحياة

الدنيوية لا يعبر عنه بالموت لأن (فيها) لمكان بناء المرة إشعارا بالتجدد والموت السابق مستصحب لم تتقدمه حياة مدفوع كما قال صاحب الكشف ، ثم أنه لا يلزم من تفسير الموت الأولى بما بعد الحياة في قوله تعالى : (لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى) تفسيرها بذلك هنا لأن إيقاع الذوق عليها هناك قرينة أنها التي بعد الحياة الدنيا لأن ما قبل الحياة غير مذوق ، ومع هذا كله الانصاف ان حمل الموتة الأولى هنا أيضا على التي بعد الحياة الدنيا أظهر من حملها على ما قبل الحياة من العدم بل هي المتبادرة إلى الفهم عند الإطلاق المعروفة بينهم ، وأمر الوصف بالاولى على ما سمعت أولا *

وقيل : إنهم وعدوا بعد هذه الموتة موتة القبر وحياة البعث فقوله تعالى عنهم (إن هي الا موتتنا الأولى) رد للموتة الثانية وفي قوله سبحانه (وما نحن بمنشرين) نفى حياة القبر ضمنا إذ لو كانت بدون الموتة الثانية لثبت النشر ضرورة ﴿ فَأَتُوا بِآبَائِنَا ﴾ خطاب لمنزوعهم بالنشور من الرسول ﷺ والمؤمنين أي فأتوا لنا بمن مات من آبائنا ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ٣٦ ﴾ في وعدم كليل ذلك على صدقكم ودلالة الايقان اما لمجرد الاحياء بعد الموت ولما بأن يسألوا عنه ، قيل : طلبوا من الرسول عليه الصلاة والسلام أن يدعو الله تعالى فيحيي لهم قصي بن كلاب ليشاوروه في صحة النبوة والبعث إذ كان كبيرهم ومستشارهم في النوازل ﴿ أَهْمٌ خَيْرٌ ﴾ في القوة والمنعة ﴿ أَمْ قَوْمٌ تُبَعِّعُ ﴾ هو تبع الاكبر الحميري واسمه أسعد بهمزة ، وفي بعض الكتب سعد بدونها وكنيته أبو كرب وكان رجلا صالحا . أخرج الحاكم وصححه عن عائشة قالت : كان تبع رجلا صالحا لا ترى أن الله تعالى ذم قومه ولم يذمه ، وأخرج ابن عساكر عن ابن عباس لا يشبهن عليكم أمر تبع فانه كان مسلما ، وأخرج أحمد . والطبراني . وابن أبي حاتم . وابن مردويه عن سهل بن سعد الساعدي قال : « قال رسول الله ﷺ لا تسبوا تبع فانه كان قد أسلم » وأخرج ابن عساكر . وابن المنذر . عن ابن عباس قال : سألت كعبا عن تبع فأنى أسمع الله تعالى يذكر في القرآن قوم تبع ولا يذكر تبع فقال : إن تبع كان رجلا من أهل اليمن ملكا منصورا فسار بالجيوش حتى انتهى إلى سمرقند فرجع فأخذ طريق الشام فأسر بها أحبارا فانطلق بهم نحو اليمن حتى إذا دنا من ملكه طارفي الناس أنه هادم الكعبة فقال له الاحبار : ما هذا الذي تحدث به نفسك فان هذا البيت لله تعالى وإليك لن تسلط عليه فقال : إن هذا لله تعالى وأنا أحق من حرمة فأسلم من مكانه وأحرم فدخلها محرما ففضى نسكه ثم أنصرف نحو اليمن راجعا حتى قدم على قومه فدخل عليه أشرفهم فقالوا : ياتبع أنت سيدنا وابن سيدنا خرجت من عندنا على دين وجئت على غيره فاختر منا أحد أمرين اما أن نخليها وملكنا وتعبد ماشئت وإما أن تلز دينك الذي أحدثت وبينهم يومئذ نار تنزل من السماء فقال الاحبار عند ذلك : اجعل بينك وبينهم النار فتواعد القوم جميعا على أن يجعلوها بينهم فجاء بالاحبار وكتبهم وجيء بالاصنام وعمارها وقدموا جميعا إلى النار وقامت الرجال خلفهم بالسيوف فهدرت النار هدير الرعد ورمت شعاعا لها فنكص أصحاب الاصنام وأقبلت النار وأحرقت الاصنام وعمارها وسلم الآخرون فأسلم قوم واستسلم قوم فلبثوا بعد ذلك عمر تبع حتى إذا نزل بتبع الموت استخلف أخاه وهلك فقتلوا أخاه وكفروا صفقة واحدة ، وفي رواية عن ابن عباس أن تبع لما أقبل من الشرق بمدان حير الحيرة أي بناها ونظم أمرها - وهي بكسر الحاء المهملة وباء ساكنة مدينة بقرب الكوفة -

وبني سمرقند وهي مدينة بالبحر معروفة ، وقيل : إنه هددها وقصد المدينة وكان قد خلف بها حين سافر ابنه فقتل غيلة فأجمع على خرابها واستئصال أهلها فجمع له الانصار وخرجوا لقتاله وكانوا يقاتلونه بالنهار ويقرونه بالليل فأعجبه ذلك وقال : إن هؤلاء لكرام فينبأ هو على ذلك اذ جاءه كعب . وأسد ابناعم من قريظة خبران وأخبراه أنه يحال بينك وبين ماتريد فانها مهاجر نبي من قريش اسمه محمد ﷺ . وولده بمكة فثناه قولهما عما يريد ثم دعوا إلى دينهما فاتبعهما وأكرمهما فانصرفوا عن المدينة . ومعهم نفر من اليهود فقال له في الطريق نفر من هذيل : نذلك على بيت فيه كنز من لؤلؤ وزبرجد وذهب وفضة بمكة وأرادت هذيل هلاكه لأنهم عرفوا أنه ما أراد أحد بسوء الاهلك فذكر ذلك للحبرين فقالا : ما نعلم الله عز وجل بيتا في الارض اتخذه لنفسه غير هذا فاتخذ مسجدا وانسك عنده واحلق رأسك وما أراد القوم الا هلاكك فأكرمه وكساه وهو أول من كسى البيت وقطع أيدي أولئك النفر من هذيل وأرجلهم وسمل أعينهم وصلبهم . وفي رواية أنه قال للحبرين حين قالاه ما قالاه : واتما ما يمنعكما من ذلك ؟ فقالا : أما والله إنه لبيت أبينا ابراهيم عليه السلام وإنه لكما أخبرناك ولكل أهله حالوا بيننا وبينه بالاثنيان التي نصبوها - وله وبالدماء التي يريقونها عنده وهم نجس أهل شرك فعرف صدقهما ونصحهما فطاف بالبيت ونحرو حلق رأسه وأقام بمكة ستة أيام فيما يذكر ونجر للناس ويطعم أهلها ويسقيهم العسل ، وقيل : إنه أراد تخريب البيت فرمى بداء عظيم فكف عنه وكساه .

وأخرج ابن عساکر عن ابن اسحق أن تبعا أرى في منامه أن يكسو البيت فكساه الخصف ثم أرى أن يكسوه أحسن من ذلك فكساه المانر ثم أرى أن يكسوه أحسن من ذلك فكساه الوصائل وصائل اليمن فكان فيما ذكر لي أول من كساه وأوصى بها ولاته من جرهم وأمر بتطهيره وجعل له بابا ومفتاحا . وفي رواية أنه قال أيضا : ولا تقربوه دما ولا ميتا ولا ترابه حائض ، وفي نهاية ابن الاثير في الحديث أن تبعا كسى البيت المسوح فانتفض البيت منه ومنقه عن نفسه ثم كساه الخصف فلم يقبله ثم كساه الانطاع ، وفي موضع آخر منها أن أول من كسى السكبة كسوة كاملة تبع كسائها الانطاع ثم كسائها الوصائل والخصف فعل بمعنى مفعول من الخصف وهو ضم الشيء إلى الشيء والمراد شيء منسوج من الخوص على ما هو الظاهر ، وقيل : أريد به ههنا الثياب الغلاظ جدا تشبها بالخصف المذكور ، والمعافى برود من اليمن منسوبة إلى معافر قبيلة بها والميم زائدة ، والوصائل ثياب حمر مخططة يمانية ، والمسوح جمع مسح بكسر الميم وسكون المهملة أثواب من شعر غليظة ، والانطاع جمع نطع بالكسر وبالفتح وبالتحريك بسط من أديم . وأخرج ابن سعد . وابن عساکر عن ابى بن كعب قال : لما قدم تبع المدينة ونزل بفنائها بعث إلى احبار يهود فقال : إني مخرب هذا البلد حتى لا تقوم به يهودية ويرجع الامر إلى دين العرب فقال له : شامول اليهودى وهو يومئذ اعلمهم : ايها الملك إن هذا بلد يكون اليه مهاجر نبي من بني اسمعيل مولده بمكة اسمه احمد وهذه دار هجرته إلى أن قال : قال وما صفته ؟ قال : رجل ليس بالقصير ولا بالطويل في عينيه حمرة يركب البعير ويلبس الشملة سيفه على عاتقه لا يبالي من لاقى حتى يظهر أمره فقال تبع : ما إلى هذا البلد من سيل وما كان ليكون خرابها على يدى . وذكر أبو حاتم الرياشي أنه آمن بالنبي ﷺ قبل أن يبعث بسبعهائة سنة ، وقيل : بينه وبين مولده عليه الصلاة والسلام ألف سنة ، والقولان يدلان على أنه قبل مبعث عيسى عليه السلام . وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال : لا تقولوا في تبع الاخيراً فإنه قد حج البيت وآمن بما جاء به عيسى بن مريم ، وهو يدل على أنه بعد مبعث عيسى عليه السلام ، والأول أشهر .

ومن حديث عباد بن زياد المري أنه لما أخبره اليهود أنه سيخرج نبي بمكة يكون قراره بهذا البلد - يعني المدينة - اسمه أحمد وأخبروه أنه لا يدركه قال الاوس والخزرج : أقيموا بهذا البلد فان خرج فيكم فوازره وإن لم يخرج فأوصوا بذلك أولادكم ، وقال في شعره :
حدثت أن رسول المليك يخرج حقاً بأرض الحرم
ولومد دهرى إلى دهره لكننت وزيراً له وابن عم

وفي البحر بدل البيت الأول : شهدت على أحمد أنه رسول من الله باري النسم

وفيه أيضاً رواية عن ابن اسحق . وغيره أنه كتب أيضاً كتاباً وكان فيه أما بعد فاني آمنت بك وبكتابك الذي أنزل عليك وأنا على دينك وستك وآمنت بربك ورب كل شيء وآمنت بكل ما جاء من ربك من شرائع الاسلام فان ادركتك فيها ونعمت وإن لم أدركك فاشفع لي ولا تنسني يوم القيامة فاني من أمتك الأولين وتابعيك قبل مجيئك وأنا على ملتك وملة أبيك ابراهيم عليه السلام ، ثم ختم الكتاب ونقش عليه الله الأمر من قبل ومن بعد ، وكتب عنوانه إلى محمد بن عبد الله بن عبد الله ورسوله خاتم النبيين ورسول رب العالمين ﷺ من تبع الأول ودفعه إلى عظيم من الاوس والخزرج وأمره أن يدفعه للنبي عليه الصلاة والسلام إن ادركه . ويقال : إنه بنى له داراً في المدينة يسكنها إذا أدركه صلى الله تعالى عليه وسلم وقدم اليها وأن تلك الدار دار أبي أيوب خالد بن زيد وأن الشعر والكتاب وصلا اليه وأنه من ولد ذلك الرجل الذي دفعاً اليه أولاً ، ولما ظهر النبي عليه الصلاة والسلام دفعوا الكتاب اليه فلما قرئ عليه قال : مرحباً بتبع الاخ الصالح ثلاث مرات * وجاء أنه صلى الله تعالى عليه وسلم صلى عليه صلاة الجنائزة وكذا على البراء بن معرور بعد وفاته بشهر يوم قدمه عليه الصلاة والسلام المدينة كما قال النجم الغيطي وكانت صلاة الجنائزة قد فرضت تلك السنة ، وكون هذا هو تبع الأول ويقال له الاكبر هو المذكور في غير ما كتاب ، وذكر عبد الملك بن عبد الله بن بدرون في شرحه لقصيدة ابن عبدون أن أسعد هذا هو تبع الاوسط وذكر أيضاً أن ملكه ثلثمائة وعشرين سنة وملك بعده عمرو أربعاً وستين سنة ، وقال ابن قتيبة : حسان وهو الذي قتل زرقاء اليمامة وأباد جديساً وكان ملكه خمساً وعشرين سنة ، والتواريخ ناطقة بتقدم تبابعة عليه فان تبعاً يقال لمن ملك الين مطلقاً كما يقال للملك الترك خاقان ، والروم قيصر ، والفرس كسرى أولاً يسمى به الا اذا كانت له حمير وحضر موت كما في القاموس أولاً اذا كانت له حمير وسبأ وحضر موت كما ذكره الطائي ، والمتصف بذلك غير واحد كما لا يخفى على من أحاط خبراً بالتواريخ . وما تقدم من حكاية أنه هدم سمرقند ذكر عبد الملك خلافه ونسب هدمها الى شمر بن افرقيس ابن ابرهة أحد التبابعة أيضاً كان قبل تبع المذكور بكثير قال : إن شمر خرج نحو العراق ثم توجه يريد الصين ودخل مدينة الصغد فهدمها وسميت شمر كند أي شمر خربها وعربت بعد فقيل سمرقند اه *

وحكاية البناء يمكن نسبتها الى شمر هذا فان كندى لغة أهل أذربيجان ونواحيها على ما قيل بمعنى القرية فسمرقند بمعنى قرية شمر وهو أوفق بالبناء ، وذكر علامة عصره الملا أمين افندي العمري الموصلي تغمده الله تعالى برحمته في كتابه شرح ذات الشفاء أن تبعاً الذي ذكر سابقاً هو ابن حسان وأنه ملك الدنيا كلها وأنه يقال له الراش لأنه راش الناس بالعطاء ، ولعل ما قاله قول لبعضهم والا فقد قال ابن قتيبة : إنه ابن كليد كرب *

وفي شرح قصيدة ابن عبدون أن الرائي لقب الحرث بن بدر أحد التبايع ، وهو قبل أسعد المتقدم ذكره بزمان طويل جدا ، وهو أيضا من ذكر نبينا ﷺ في شعره فقال :

ويملك بعدهم رجل عظيم نبى لا يرخص فى الحرام
يسمى أحدا ياليت أنى أعمر بعد مخرجه بعام

ثم ان ملك الدنيا كلها غير مسلم ، وبالجملة الاخبار مضطربة فى أمر التبايع وأحوالهم وترتيب ملوكهم بل قال صاحب تواريخ الامم : ليس فى التواريخ أسقم من تاريخ ملوك حمير لما يذكرون من كثرة عدد سنيهم مع قلة عدد ملوكهم فان ملوكهم ستة وعشرون ومدتهم ألفان وعشرون سنة .

وقال بعض : إن مدتهم ثلاثة آلاف واثنتان وثمانون سنة ثم ملك من بعدهم اليمن الحبشة والله تعالى أعلم بحقيقة الحال ، والقدر المعلوم عليه ههنا أن تبعاً للمذكور هو أسعد أبو كرب وأنه كان مؤمناً بنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وكان على دين إبراهيم عليه السلام ولم يكن نبياً ، وحكاية نبوته عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لا تصح ، واخبره بمبعثه صلى الله تعالى عليه وسلم لا يقتضيها لأنه علم ذلك من أخبار اليهود وهم عرفوه من الكتب السماوية . وما روى من أنه عليه الصلاة والسلام قال : ما أدري أكان تبع نبياً أو غير نبى لم يثبت ، نعم روى أبو داود . والحاكم أنه عليه الصلاة والسلام قال : « ما أدري أذو القرنين هو أم لا » وليس فيه ما يدل على التردد فى نبوته وعدمها فان ذا القرنين ليس بنبي على الصحيح ، ثم ان الظاهر أنه عليه الصلاة والسلام درى بعد أنه ليس ذا القرنين .

وقال قوم : ليس المراد بتبعها هنا رجلاً واحداً إنما المراد ملوك اليمن ، وهو خلاف الظاهر والأخبار تكذبه ، ومعنى تبع متبوع فهو فعل بمعنى مفعول وقد يحكى هذا اللفظ بمعنى فاعل كما قيل للظل تبع لأنه يتبع الشمس ، ويقال للملوك اليمن أقبال من يقليل فلان أباه إذا اقتدى به لأنهم يقتدى بهم ، وقيل : سمي ملوكهم قبالاً لنفوذ أقواله وهو مخفف قيل كميته .

(وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) أى قبل قوم تبع كعاد . وثمود وأقبل قريش فهو تعميم بعد تخصيص (أَهْلَكْنَاهُمْ) استئناف إبيان عاقبة أمرهم هدد به كفار قريش أو حال باضمار قد أو بدونه من الضمير المستتر فى الصلة أو خبر عن الموصول إن جعل مبتدأ ولم يعطف على ما قبله (إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ٣٧) تعليل لاهلاكهم أى أهلكناهم بسبب كونهم مجرمين فليحذر كفار قريش الأهلاك لأجرامهم .

(وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا) أى ما بين الجنسين وهو شامل لما بين الطبقات .

وقرأ عبيد بن عمير (وما بينهما) فالضمير للمجموع السموات والأرض (لَاعِبِينَ ٣٨) أى عابثين وهو دليل على وقوع الحشر كما مر فى الأنبياء وغيرها (مَا خَلَقْنَاهُمَا) أى وما بينهما (إِلَّا بِالْحَقِّ) استثناء مفرغ من أعم الأحوال أى ما خلقناهما ملتبسين بشيء من الأشياء إلا ملتبسين بالحق فالجار والمجرور فى موضع الحال من الفاعل ، وجوز أن يكون فى موضع الحال من المفعول ، والباء للابسة فيهما ، وجوز أن

تكون للسببية ، والاستثناء مفرغ من أعم الأسباب أى ما خلقناهما بسبب من الأسباب إلا بسبب الحق الذى هو الايمان والطاعة والبعث والجزاء والملازمة أظهر ﴿ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٣٩ ﴾ تذييل وتجهيل فخيم لمنكرى الحشر وتوكيد لأن إنكارهم يؤدى إلى ابطال الكائنات بأسرها (ويحسبونه هينا وهو عند الله عظيم) ولهذا قال المؤمنون : (ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه ففنا عذاب النار) ﴿ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ ﴾ أى فصل الحق عن الباطل والمحق عن المبطّل بالجزاء أو فصل الشخص عن أحبائه وذوى قرابته ﴿ مِيقَاتِهِمْ ﴾ وقت وعدم ﴿ أَجْمَعِينَ ٤٠ ﴾ وقرئ (مِيقَاتِهِمْ) بالنصب على أنه اسم إن والخبر (يوم الفصل) أى إن ميعاد حسابهم وجزائهم فى يوم الفصل وليس مثل إن حراسنا أسدا ﴿ يَوْمَ لَا يُغْنِي ﴾ (بدل من يوم الفصل) أو عطف بيان عند من لا يشترط المطابقة تعريفا وتنكيلا ، وجوز نصبه بأعنى مقدر وأن يكون ظرفا لما دل عليه الفصل لاله للفصل بينه وبينه بأجنبى ، وهو مصدر لا يعمل إذا فصل لضعفه أوله على قول من اغتفر الفصل إذا كان المعمول ظرفا كابن الحاجب . والرضى ، وجوز أبو البقاء كونه صفة لمِقاتهم . وتعقب بأنه جامد نكرة لضافته للجملة فكيف يكون صفة للمعرفة مع أنه لا يصح بناؤه عند البصريين إذا أضيف إلى جملة صدرها معرب وهو المضارع أى يوم لا يجزى ﴿ مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا ﴾ من الاغناء أى الاجزاء ، فشئنا منصوب على المصدرية ويجوز كونه مفعولا به ، ويغنى بمعنى يدفع وينفع . وتنكير «شئنا» للتقليل ، والمولى الصاحب الذى من شأنه أن يتولى معونة صاحبه على أموره فيدخل فى ذلك ابن العم والحليف والعتيق والمعتق وغيرهم ، وذكر الخفاجى أنه من الولاية وهى التصرف فيشمل كل من يتصرف فى آخر لاهرما كقرابة وصداقة وهو قريب مما ذكرنا . وأياما كان فليس ذلك من استعمال المشترك فى أكثر من معنى واحد ، ولو سلم أن هناك مشتركا استعمال فى أكثر من معنى كانت الآية دليلا لابن الهمام عليه الرحمة فى جواز ذلك فى النفى فيقال عنده : ما رأيت عينا ويراد العين الباصرة وعين الذهب وغيرها ويعلم من نفى اغناء المولى نفى إغناء غيره من باب أولى •

﴿ وَلَا تَنْصُرُونَ ٤١ ﴾ الضمير عند جمع المولى الأول ؛ والجمع باعتبار المعنى لأنه نكرة فى سياق النفى وهى تعم دون الثانى لأنه أفيد وأبلغ لأن حال المولى الثانى نصرته معلوم من نفى الاغناء السابق ، ولأنه إذا لم ينصر من استند اليه فكيف هو ، وأيضا وجه جمع الضمير فيه أظهر ، وجوز عوده على الثانى للدلالة على أنه لا ينصره غير مولاه وهو فى سياق النفى أيضا وإن لم يكن فى ذلك بمرتبة الاول . نعم قيل فى وجه الجمع : عليهما ، إن النكرة فى سياق النفى تدل على كل فرد فرد فلا يرجع الضمير لها جمعا •

وأجيب بأنه لا يطرد لأنها قد تحمل على المجموع بقرينة عود ضمير الجمع عليها ، ولعل الاولى عود الضمير على المولى المفهوم من النكرة المنفية ، وقال بعض : لو جعل الضمير للكفار كضمير (مِقاتهم) كثرت الفائدة وقلت المؤنة فتأمل ﴿ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ ﴾ فى محل رفع على أنه بدل من ضمير (ينصرون) أوفى محل نصب على الاستثناء منه أى لا يمنع من العذاب الا من رحمه الله تعالى وذلك بالعفو عنه وقبول الشفاعة فيه •

وجوز كونه بدلا أو استثناء من (مولى) وفيه كما فى الاول دليل على ثبوت الشفاعة لكن الرجحان للاول اعطا ومعنى : والاستثناء من أى كان متصل ، وقال الكسائى : إنه منقطع أى لكن من رحمه الله تعالى

(إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ) الغالب الذي لا ينصر من أراد سبحانه تعذيبه (الرَّحِيمُ ٤٢) لمن أراد أن يرحمه عز وجل

له مثل ذلك فلما رأى الرجل أنه لا يفهم قال : إن شجرة الزقوم
واستدل بذلك على أن إبدال كلمة مكان كلمة جائز إذا كانت مؤدية معناها . وتمتبه القاضي أبو بكر في
الاتصاف بأنه أراد أن ينهيه على أنه لا يريد اليتيم (٢) بل الفاجر فينبغي أن يقرأ (الائيم) وأنت تعلم أن هذا
التأويل لا يكاد يتأتى فيما روى عن ابن مسعود فإنه كالنص في تجويز الإبدال لذلك الرجل وابتعد منه عن التأويل
مأخرج ابن مردويه عن أبيه أنه كان يقرأ رجالاً فارسياً فكان إذا قرأ عليه (إن شجرة الزقوم طعام الائيم) قال :
طعام اليتيم فربه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال : (قل له طعام الظلام) فقال لها فصح بها لسانه ، وفي الباب أخبار
كثيرة جياد الأسانيد كخبر أحمد بن حنبل عن أبي هريرة «أنزل القرآن على سبعة أحرف عليهما حكيمًا غفورًا رحيمًا» *
وكخبره من حديث أبي بكر طه أي القرآن شاف كاف ما لم تختم آية عذاب برحمة أو رحمة بعذاب نحو قولك
تعال وأقبل وأسرع وعجل إلى غير ذلك ، لكن قال الطحاوي : إنما كان ذلك رخصة لما كان يتعسر على كثير
منهم التلاوة بلفظ واحد لعدم علمهم بالكتابة والضبط واتقان الحفظ ثم نسخ بزوال العذر وتيسر الكتابة
والحفظ ، وكذا قال ابن عبد البر . والباقي في وآخرون ، ولعله أن تحقق إبدال من أحد من الصحابة رضي الله
تعالى عنهم بعده عليه الصلاة والسلام يقال : إنه كان منه قبل الإطلاع على النسخ ومتى لم يحز إبدال كلمة مكان
كلمة مؤدية معناها مع الاتحاد عربية فعدم جواز ذلك مع الاختلاف عربية وفارسية مثلاً أظهر ، وما روى عن
الامام أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه من أنه يرى جواز قراءة القرآن بالفارسية بشرط أداء المعاني على كمالها
فقد صح عنه خلافه ، وقد حقق الشرنبلالي عليه الرحمة هذه المسئلة في رسالة مفردة بما لا مزيد عليه ، وقد تقدم
في هذا الكتاب شيء من ذلك فتذكر ، والطعام ما يتناول منه من الغذاء وأصله مصدر فلذا وقع خبرا عن المؤنث
ولم يطابق ، وجوز أن يكون ذلك من باب قوله :

انارة العقل مكسوف بطوع هوى وعقل عاصى الهوى يزدد تنويرا

فكأنه قيل: إن الزقوم طعام الاثيم (كالمهل) عكر الزيت كما روى عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما وجاء في حديث رواه الحاكم وغيره عن أبي سعيد مرفوعا وفيه «فاذا قرب إلى وجهه - يعني الجهنمي - سقطت فروة وجهه وربما يؤيد بقوله تعالى: (يوم تكون السماء كالمهل) مع قوله سبحانه: (فكانت ردة كالدهان) وقال بعض: عكر القطران، وفي رواية عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما الصديد، ومنه ما في حديث أبي بكر رضي الله تعالى عنه ادفنوني في ثوبي هذين فانما هما للمهل والتراب. وفي رواية أخرى عنه رضي الله تعالى عنه أنه ما أذيب من ذهب أو فضة أو حديد أو رصاص، وروى ذلك عن ابن مسعود، قيل: وسمى ذلك مهلا لأنه يهل في النار حتى يذوب فهو من المهل بمعنى السكون، وادعى بعضهم الاشتراك وقد جاء استعماله في كل ما سمعت، وقرأ الحسن (كالمهل) بفتح الميم وهو لغة فيه، والجار والمجرور أو الكاف في محل رفع خبر مبتدا محذوف والجملة استئناف لبيان حال الطعام أي هو كالمهل أو مثل المهل، وقوله عز وجل: ﴿يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ٥٤﴾ خبر ثان لذلك المبتدا، وقيل: حال من الضمير المستتر في الجار والمجرور فيكون وصفا للطعام أيضا؛ وقال أبو عبيد: هو حال من المهل، وقيل: صفة له لأن أل فيه للجنس نحو أمر على اللثيم يسبني ويعتبر داخلا في التشبيه وأنت تعلم أن غليان الطعام في البطن فيه مبالغة أما التشبيه بمهل يغلي في البطن فلا، وقيل كالمهل أو الكاف خبر ثان لأن وجملة (يغلي في البطون) حال من الزقوم أو الطعام. وتعقب بأنه منع مجيء الحال من المضاف إليه في غير صورته خصوصاً ليس هذا منها ومنع مجيئه من الخبر ومن المبتدا. وأجيب بأن هذا بناء على جواز مجيء الحال من الخبر ومن المبتدا والمضاف إليه المبتدا في حكمه وأن ما ذكر من الصور التي يجيء الحال فيها من المضاف إليه لأن المضاف كالجزء في جواز إسقاطه، ولا يخفى أنه بناء على ضعف، وقيل: كالمهل خبر ثان والجملة حال من ضمير الشجرة المستتر فيه، والتذكير باعتبار كونها طعام الاثيم أو لاكتسابها إياه مما أضيفت إليه نظير ما سمعت في البيت آنفاً وهو تكلف مستغنى عنه، وقيل: الجملة على ذلك خبر مبتدا محذوف هو ضمير الطعام أو الزقوم فإن كانت الجملة حينئذ مستأنفة فالبحت هين وإن كانت حالية عاد مأمراً آنفاً ولا أراك تظنه هينا، وقيل: كالمهل حال من طعام وحاله معلوم، وبالجملة الوجوه في اعراب الآية كثيرة وأنا أختار منها ما ذكرته أولاً.

وقرأ عمرو بن هيمون. وأبورزين. والأعرج. وأبو جعفر. وشيبة. وابن محيصن. وطاحنة. والحسن في رواية. واكثر السبعة (تغلي) بالناء الفوقية فكالمهل خبر ثان لأن وجملة (تغلي) خبر ثالث واتحاد المبتدا والخبر متكفل باتحاد القراءتين معنى فافهم ولا تغفل.

﴿كَغَلَى الْجَهَنَّمُ ٥٦﴾ صفة مصدر محذوف أي غليا كغلي الحميم، وجوز أن يكون حالا، والحميم ما هو في غاية الحرارة ﴿خَذُوهُ﴾ على إرادة القول والمقول له الزبانية أي ويقال لهم خذوه ﴿فَاعْتَلَوْهُ﴾ فجره وقهره. قال الراغب: العتل الأخذ بمجامع الشيء وجره بقهره، وبعضهم يعبر بالثوب بدل الشيء وليس ذلك بلازم والمدار على الجر مع الإمساك بعنف.

وقال الأعمش. ومجاهد: معنى (اعتلوه) اقصفوه كما يقصف الخطب، والظاهر عليه التضمين أو تعلق الجار بخذوه، والمعنى الأول هو المشهور. وقرأ زيد بن علي. والحجازيان. وابن عامر. ويعقوب (فاعتلوه)

بضم التاء وروى ذلك عن الحسن. وقتادة. والأعرج. على أنه من باب قعد، وعلى قراءة الجمهور من باب نصر وهما لغتان ﴿إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ٤٧﴾ أى وسطه، وسى سواء لاستواء بعد جميع أطرافه بالنسبة إليه *

﴿ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْجَحِيمِ ٤٨﴾ كأن أصله صبوا فوق رأسه الجحيم، ثم قيل: صبوا فوق رأسه عذابا هو الجحيم للبالغة يجعل العذاب عين الجحيم، وهو مترتب عليه ولجعله مصبوبا كالمحسوس ثم أضيف العذاب إلى الجحيم للتخفيف، وزيد (من) للدلالة على أن المصبوب بعض هذا النوع فهناك إما تمثيل أو استعارة تصريحية أو مكنية أو تخيلية ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ٤٩﴾ أى ويقال: أو قولوا له ذلك استهزاء وتقريبا على ما كان يزعمه *

أخرج عبد الرزاق وغيره عن قتادة قال: لما نزلت (خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم) قال أبو جهل: ما بين جبلها رجل أعز ولا أكرم منى، فقال الله تعالى: (ذُقْ) الخ *

وأخرج الآموى في مغازيه عن عكرمة أن أبا جهل قال للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم: ما تستطيع لى أنت ولا صاحبك من شىء لقد علمت أنتى أمتع أهل بطحاء وأنا العزيز الكريم فقتله الله تعالى يوم بدر وأذله وغيره بكلمته (ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ) وروى أن اللعين قال يوما: يامعشر قريش أخبرونى ما اسمى فذكرت له ثلاثة أسماء عمره والجلال. وأبو الحكم فقال: ما أصبتم اسمى ألا أخبركم به؟ قالوا: بلى قال: اسمى العزيز الكريم فنزلت (إن شجرة الزقوم) الآيات، وهذا ونحوه لا يدل أيضا على تخصيص حكم الآية به فكل أثم يدعى دعواه كذلك يوم القيامة، وقيل: المعنى ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ عليهم فما أغنى ذلك عنك ولم يفدك شيئا، والذوق مستعار للدراك *

وقرأ الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهما على المنبر. والكسائي (أَنْتَ) بفتح الهزة على معنى لأنك

﴿إِنَّ هَذَا﴾ أى العذاب أو الأمر الذى أتم فيه ﴿مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ ٥٠﴾ تشكون وتمارون فيه، وهذا

ابتداء كلام منه عز وجل أو من مقول القول والجمع باعتبار المعنى لما سمعت أن المراد جنس الأثم *

﴿أَنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ﴾ فى موضع قيام، والمراد بالقيام الثبات والملازمة كما فى قوله تعالى: (مادمت

عليه قائما) ويكنى به عن الإقامة لأن المقيم ملازم لمكانه، وهو مراد من قال: فى مقام أى موضع إقامة

وقرأ عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما. وزيد بن على. وأبو جعفر. وشيبة. والأعرج. والحسن. وقتادة. ونافع. وابن عامر (مقام) بضم الميم ومعناه موضع إقامة، وعلى ما قررنا ترجع القراءة إلى معنى واحد *

﴿أَمِين ٥١﴾ يأمن صاحبه مما يكره فهو صفة من الأمن وهو عدم الخوف عما هو من شأنه، ووصف

المقام به باعتبار أمن من آمن به فهو إسناد مجازى كما فى نهر جار، وظاهر كلام الزمخشري أن ذلك استعارة من الأمانة كأن المكان مؤتمن وضع عنده ما يحفظه من المكروه ففيه استعارة مكنية وتخيلية، وقال ابن عطية:

فعل بمعنى مفعول أى مأمون فيه وليس بذلك، وجوز أن يكون للنسبة أى ذى أمن ﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ٥٢﴾ بدل من (مقام) باعادة الجار أو الجار والمجرور بدل من الجار والمجرور، وظرفية العيون للمجاورة، والظاهر

أنه بدل اشتغال لا كل وبعض ، وفي ذلك دلالة على نزاهة مكانهم واشتماله على ما يستلذ من الماء كل والمشارب .
 ﴿ يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَأَسْتَبْرَقٍ ﴾ خبر ثان أو حال من الضمير في الجار والمجرور أو استئناف ، والسندس
 قال ثعلب : الرقيق من الديباج والواحدة سندسة ، والاستبرق غليظه ، وقال الليث : هو ضرب من البزبون
 يتخذ من المرعز ، ولم يختلف أهل اللغة في أنهما معربان كذا ذكره بعضهم .

وفي الكشف الاستبرق ما غاظ من الديباج وهو تعريب استبر ، قال الخفاجي : ومعنى استبر في لغة الفرس
 الغليظ مطلقاً ثم خص بغليظ الديباج وعرب ، وقيل : إنه عربي من البراقة ، وأيد بقرامته بوصل الهمزة وهو كما ترى .
 وذكر بعضهم أن السندس أصله سندي ومعناه منسوب إلى السند المكان المعروف لأن السندس
 كان يجلب منه فأبدلت ياء النسبة سينا ، وقد مر الكلام في ذلك فتذكر ، ثم إن وقوع المعرب في القرآن العظيم
 لا ينافي كونه عربياً ميبناً . ونقل صاحب الكشف عن جابر الله أنه قال : الكلام المنظوم مركب من الحروف
 المبسوطة في أي لسان كان تركي أو فارسي أو عربي ثم لا يدل على أن العربي أعجمي فكذاهاها ، ثم قال صاحب
 الكشف : يريد أن كون استبر أعجمياً لا يلزمه أن يكون استبرق كذلك . وقرأ ابن محيصن (واستبرق)
 فعلاً ماضياً كما في البحر ، والجملة حينئذ قيل معترضة ، وقيل : حال من (سندس) والمعنى يلبسون من سندس
 وقد برق لصقالته ومزيد حسنه ﴿ مُتَقَابِلِينَ ٥٣ ﴾ في مجالسهم ليستأنس بعضهم ببعض ﴿ كَذَلِكَ ﴾ أي الأمر
 كذلك فالكاف في محل رفع على الخبرية لمبتدأ محذوف ، والمراد تقرير مامر وتحقيقه . ونقل عن جابر الله أنه
 قال : والمعنى فيه أنه لم يستوف الوصف وأنه بمثابة ما لا يحيط به الوصف فكأنه قيل : الأمر نحو ذلك وما أشبهه .
 وأراد على ما قال المدقق أن الكاف مقحم للمبالغة وذلك مطرد في عرفي العرب والعجم ، وجوز أن يكون في

محل نصب على معنى أثبتناهم مثل ذلك ، وقوله تعالى : ﴿ وَزَوْجَانَّهٖ ﴾ على هذا عطف على الفعل المقدر وعلى
 ما قبل على (يلبسون) والمراد على ما قال غير واحد وقرناهم ﴿ بُحُورَ عَيْنٍ ٥٤ ﴾ وفسر بذلك قيل لأن الجنة
 ليس فيها تكليف فلا عقد ولا تزويج بالمعنى المشهور ، وقيل : لمكان الباء ، وزوجه المرأة بمعنى أنكحه إياها
 متعد بنفسه ، وفيه بحث فإن الاخفش جوز الباء فيه فيقال : زوجته بامرأة فتزوج بها ، وأزد شنومة يعدونه
 بالباء أيضاً ، وفي القاموس زوجته امرأة وتزوجت امرأة وبها أو هي قليلة ، ويعلم بما ذكر أن قول بعض الفقهاء
 زوجته بها خطأ لا وجه له ، ويجوز أن يقال : إن ذلك التفسير لأن الحور العين في الجنة ملك يمين كالسراري
 في الدنيا فلا يحتاج الأمر إلى العقد عليهن ، على أنه يمكن أن يكون في الجنة عقد وإن لم يكن فيها تكليف .
 وقد أخرج ابن جرير . وغيره عن مجاهد أنه قال : زوجناهم أنكحنهم . ومن الناس من قال بالتكليف فيها بمعنى
 الأمر والنهي لكن لا يجدون في الفعل والترك كلفة ، نعم المشهور أن لا تكليف فيها ، وبعض ما حرم في الدنيا
 كتنكاح امرأة الغير ونكاح المحارم لا يفعلونه لعدم خطوره لهم ببال أصلاً ، والحور جمع حوراء وهي البيضاء
 كما روى عن ابن عباس . والضحاك . وغيرهما ، وقيل : الشديدة سواد العين وبياضها ، وقيل : الحوراء ذات
 الحور وهو سواد المقلة كلها كما في الأطباء فلا يكون في الإنسان الامجازا . وأخرج ابن المنذر . وغيره عن مجاهد
 أن الحوراء التي يحار فيها الطرف . والعين جمع عينا وهي عظيمة العينين وأكثر الاخبار تدل على أنهن

لسن نساء الدنيا ، أخرج ابن أبي حاتم . والطبراني عن أبي أمامة قال : « قال رسول الله ﷺ خلق الحور العين من زعفران » وأخرج ابن مردويه . والخطيب عن أنس بن مالك مرفوعا نحوه ، وأخرج ابن المبارك عن زيد ابن أسلم قال : إن الله تعالى لم يخلق الحور العين من تراب إنما خلقهن من مسك وكافور وزعفران *

وأخرج ابن مردويه . والدليل عن عائشة قالت : « قال رسول الله ﷺ حور العين خلقهن من تسبيح الملائكة عليهم السلام » وهذا إن صح لا يعارض ما قبله إذ لا بد عليه من أن يقال بتجسد المعاني فيجوز تجسد التسبيح وجعله جزأ مما خلقن منه ، وقيل : المراد بهن هنا نساء الدنيا وهن في الجنة حور عين بالمعنى الذى سمعت بل هن أجمل من الحور العين أعنى النساء المخلوقات في الجنة من زعفران أو غيره ويهطى الرجل هناك ما كان له في الدنيا من الزوجات ، وقد يضم إلى ذلك ما شاء الله تعالى من نساء . هن ولم يتزوجن ، ومن تزوجت بأكثر من واحد فهى لآخر أزواجها أو لأولهم إن لم يكن طلقها في الدنيا أو تخير فتختار من كان أحسنهم خلقا معها أقوال صحح جمع منها الأول ، وتعطى زوجة كافر دخلت الجنة لمن شاء الله تعالى . وقد ورد أن آسية امرأة فرعون تكون زوجة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم *

وقرأ عكرمة (بحور عين) بالاضافة وهى على معنى من أى بالحور من العين ، وفى قراءة عبدالله (بعيس عين) والعيساء البيضاء تعلوها حمرة ﴿ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكَّةٍ ﴾ يطلبون ويأمرون باحضار ما يشتهون من الفواكه ولا يتخصص شئ منها بمكان ولا زمان ﴿ مَأْمُونِينَ ٥٥ ﴾ من الضرر أى ضرر كان ، وهو حال من ضمير (يدعون) وكونه حالا من الضمير فى قوله سبحانه : (فى جنات) بعيد ، وأبعد منه جعل (يدعون) حينئذ صفة الحور والنون فيه ضمير النسوة وزنه يفعلان لما فيه من ارتكاب خلاف الظاهر مع عدم المناسبة للسياقه وقوله تعالى : ﴿ لَا يَذُقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ الْأُولَى ﴾ جملة مستأنفة أو حالية وكأنه أريد أن يقال : لا يذوقون فيها الموت البتة فوضع الموتة الأولى موضع ذلك لأن الموتة الماضية محال ذوقها فى المستقبل فهو من باب التعليقات بالمحال كأنه قيل : ان كانت الموتة الأولى يستقيم ذوقها فى المستقبل فانهم يذوقونها ، ونظيره قول القائل لمن يستسقيه : لا أسقيك إلا الجمر وقد علم أن الجمر لا يسقى ، ومثله قوله عز وجل : (ولا تنكحوا ما نكح آبائكم من النساء إلا ما قد سلف) فالاستثناء متصل والدخول فرضى للمبالغة ، وضمير (فيها) للجنات ، وقيل : هو متصل والمؤمن عنده موته لمعاينة ما يعطاه فى الجنة كأنه فيها فذاق الموتة الأولى فى الجنة ، وقيل : متصل وضمير (فيها) للآخرة والموت أول أحوالها ، ولا يخفى ما فيه من التفكيك مع ارتكاب التجوز ، وقيل : الاستثناء منقطع والضمير للجنات أى لكن الموتة الأولى قد ذاقوها فى الدنيا ، والأصل اتصال الاستثناء ، وقال الطبرى : الإيمنى بعد ، والجمهور لم يثبتوا هذا المعنى لها ، وقال ابن عطية : ذهب قوم إلى أن الإيمنى سوى وضعفه الطبرى * وقال أبو حيان : ليس تضعيفه بصحيح بل يصح المعنى بسوى ويتسق . وفائدة الوصف تذكير حال الدنيا * والداعى لما سمعت من الارجح دفع سؤال يورد ههنا من أن الموتة الأولى مما مضى لهم فى الدنيا وما هو كذلك لا يمكن أن يذوقوه فى الجنة فكيف استثنيت ؟ وقيل : إن السؤال مبنى على أن الاستثناء من النفي اثبات فيثبت للمستثنى الحكم المنفى عن المستثنى منه ومحال أن يثبت للموتة الأولى الماضية الذوق فى الجنة ، وأما على قول من

جعله تسكماً بالباقي بعد الشئ، والمعنى لا يذوقون سوى الموت الأول من الموت فلا أشكال فتأمل . وقرأ عبيد ابن عمير (لا يذاقون) مبنياً للمفعول، وقرأ عبد الله (لا يذوقون فيها طعم الموت) وجاء في الحديث النوم لأنه أخو الموت، أخرج البزار . والطبراني في الأوسط . وابن مردويه . والبيهقي في البعث بسند صحيح عن جابر ابن عبد الله قال : « قيل يا رسول الله أينام أهل الجنة ؟ قال : لا النوم أخو الموت وأهل الجنة لا ينامون ولا ينامون » . ﴿ وَوَقَّاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ٥٦ ﴾ وقرأ أبو حيو (ووقاهم) مشدد القاف على المبالغة في التكثير في الوقاية لأن التفعيل لزيادة المعنى لا للتعدية لأن الفعل متعد قبله ﴿ فَضَلَّاهُمْ مِنْ رَبِّكَ ﴾ أى أعطوا كل ذلك عطاءً وتفضلاً منه تعالى فهو نصب على المصدرية ، وجوز فيه أن يكون حالاً ومفعولاً له ، وأياماً كان فقيهه إشارة إلى نفي إيجاب أعمالهم الإثابة عليه سبحانه وتعالى . وقرئ (فضل) بالرفع أى ذلك فضل ﴿ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ٥٧ ﴾ لأنه فوز بالمطالب وخلاص من المسكاره ﴿ فَأَنَّمَا يُسَّرُّنَاهُ ﴾ أى فأنما سهلنا القرآن ﴿ بِلِسَانِكَ ﴾ أى بلسانك ، وقيل : المعنى أنزلناه على لسانك بلا كتابة لكونك أمياً ، وهذا فذالك واجمال لما فى السورة بعد تفصيل تذكير لما سلف مشروحا فيها ، فالمعنى ذكرهم بالكتاب المبين فأنما يسرناه بلسانك ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ٥٨ ﴾ أى كي يفهموه ويتذكروا به ويعملوا بموجبه ﴿ فَارْتَقِبْ ﴾ أى وأن لم يتذكروا فانتظر ما يحل بهم وهو تعميم بعد تخصيص بقوله تعالى : (فارتقب يوم تأتي السماء) الخ ﴿ أَنَّهُمْ مُّرْتَقِبُونَ ٥٩ ﴾ منتظرون ما يحل بك كما كانوا : « نترصد به ريب المنون » وقيل : معناه مرتقبون ما يحل بهم تسكماً ، وقيل : هو مشاكلة ، والمعنى أنهم صائرون للعذاب ، وفى الآية من الوعد له صلى الله تعالى عليه وسلم ما لا يخفى ، وقيل : فيها الأمر بالمشاركة وهو منسوخ بآية السيف فلا تغفل .

﴿ ومن باب الإشارة فى الآيات ﴾ مذكروه فى قوله تعالى . « ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون » إلى آخر القصة من تطبيق ذلك على ما فى النفس ، وهو بما يعلم بما ذكرناه فى باب الإشارة من هذا الكتاب غير مرة فلا تطيل به ، وقالوا فى قوله تعالى (وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا عبين ما خلقناهما إلا بالحق) إنه إشارة إلى الوحدة كقوله عز وجل : (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) وأفصح بعضهم فقال : الحق هو عز وجل والباء للسببية أى ما خلقناهما إلا بسبب أن تكون مرأيا لظهور الحق جل وعلا ، ومن جعل منهم الباء للملابسة أشد .

رق الزجاج وراقت الخمر فتشاكلا وتشابه الأمر
فكأنما خمر ولا قدح وكأنما قدح ولا خمر

والعبارة ضيقة والأمر طور ما وراء العقل والسكرات أسلم ، وقالوا فى شجرة الزقوم : هى شجرة الخرص وحب الدنيا تظهر يوم القيامة على أسوأ حال وأخبث طعم ، وقالوا (الموتة الأولى) ما كان فى الدنيا بقتل النفس بسيف الصدق فى الجهاد الأكبر وهو المشار اليه بموتوا قبل أن تموتوا فمن مات ذلك الموت حيا أبدا الحياة الطيبة التى لا يمازجها شئ من ماء الألام الجسماني والروحاني وذلك هو الفوز العظيم ، والله تعالى يقول الحق وهو سبحانه يهدى السبيل .